مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

المجلد الثالث والعشرون

١٠٤

مدير المجلة
ورئيس تحريرها
محمد فريد وجدي بك

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاشتراك السنوى { ٤٠ لمصر والسودان
٥٠ لخارج القطر المصرى

ثمن العدد ٤٠ مليما

ادارة المجلة : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مكتبتنا العربية

ربيع أول سنة ١٣٧١ المجلد الثالث والعشرون

مجلة الأزهر

تصدر شهريا عن مشيخة الجامع الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

التفسير

« سورة البقرة »

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حامد محيسن
رئيس التفتيش

قد انتهينا فيما كتبناه بمقالنا السابق إلى قوله تعالى : « ومما رزقناهم ينفقون » ، وإنا نستأنف القول فى تفسير ما يلى : ذلك من آيات القرآن الحكيم قال الله تعالى : « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون » .

إن أول ما يلفت الذهن فى تلك الآية ، هو إعادة الموصول معطوفا بالواو على الموصول الأول مما يفهم التغاير بين الموصولين كما هو مقتضى العطف ، مع أن ما جرت عليه الأوصاف الأولى هو ما جرى عليه الأوصاف الثانية ، مع أن موصوف الأوصاف الأولى هو موصوف الأوصاف الثانية ، وإنما سلك هذا السبيل لما فيه من بلاغة وحكمة : أما أولا : فلإن إعادة الموصول بعد ذكره الأول ليُعيد إلى الذهن صورته موصوفا بتلك الطائفة من الأوصاف بعد ما مثله موصوفا بالأوصاف السابقه حتى يدانى بين الصفات والذات التى اتصفت بها ، ليصور مجرى تلك الأوصاف إلى السامع بصورة جديدة غير الصورة السابقة التى مثلتها الطائفة الأولى من الأوصاف ، وأما ثانياً : فلإن إعادة الموصول مما يتعدد به صورة الموصوف ، وكأن كل طائفة من الأوصاف تكون موصوفا مستقلا .

هذا هو السر فى إعادة الموصول مع اتحاده مع الأول ذاتا وصفات .

وأما ثالثاً : فلإن الأوصاف الأولى التى أجريت على المتقين قد أقيم بها أصل من أصول الايمان ، وبنى بها ركن من أركان الإسلام وأما الأوصاف الثانية التى أعيد لها الموصول فقد أقيم بها أصل ثان من أصول الايمان ، وبنى بها ركن آخر من أركان الإسلام . فالأولى « لا إله إلا الله » والثانية « محمد رسول الله » ؛

مكتبتنا العربية

إذ الايمان بالغيب هو الايمان بالله . والايمان بما أنزل على محمد إيمان برسول الله إذ هو مستلزم له حتما ، وبذلك قام الأصلان ، وشيد الركنان .

بقى هنا سؤال واستيضاح ؛ إذ يقال : إن الايمان بالله . وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة مما يدخل فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فهو لا محالة داخل فى الايمان بما أنزل إليه فلم قدم عليه ، وأخرج منه ، وجعل أصلا مستقلا وإنا لبيان ذلك نقول :

إنه إنما قدم الايمان بالله ، ولم يدخله فى الايمان بما أنزل على محمد إيذانا بقوة ما أقام الله فى الآفاق وفى الأنفس من آيات بينات ، وبراهين واضحات على وجوده تعالى وعظمته ، وسائر صفاته ، وأن هذه الآيات وتلك البراهين هادية للفطرة إلى خالق جبار عظيم قدير ، لا تتوقف الهداية إليه على رسل أو كتب ، وترى ذلك واضحا فى فطر الناس فإنك إذا بحثت شئون الأمم فى قديم التاريخ وحديثه ممن أرسل اليهم ، وممن لم يرسل إليهم من أصناف الوثنيين وغيرهم وجدتهم - وان عبدوا غير الله - يجعلون المآل الأخير والمرجع النهائى الله سبحانه وتعالى - تراهم يستعينون بما عبدوا من أحجار وأشجار وكواكب وحيوان ما داموا فى سعتهم ورخائهم ؛ حتى إذا ملكتهم شدة ، واستولى عليهم من الكروب عظيمها رجعوا إلى ربهم مخلصين له الدين ودعوه ليكشف عنهم ما انتابهم من شدة وأهوال وأقرأ إن شئت قوله تعالى : « هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » .

ألا ترى أن ذلك واضح فى أن ما قام فى الكون من آيات قوى الدلالة على وجوده تعالى ، ووحدته وكبرياءه وعظمته ؛ كما أنه واضح فى أن الفطرة التى فطر الناس عليها قد أعدت إعداداً قوياً لفهم تلك الآيات .

هذا هو السر فى أن جاء الأصل الأول مستقلا عن الأصل الثانى ، ليؤذن بأنه غير متوقف على إرسال رسل أو إنزال كتب . فما أوضح براهين وجوده تعالى ، وما أصفى آيات وحدانيته ودلائل عظمته ، ففى السماء آيات وفى الأرض

مكتبتنا العربية

آيات ، وفى الأنفس آيات ، وكم هدت تلك الآيات فطراً إلى خالقها دون أن تسمع إلى رسول ، ودون أن تقرأ فى ذلك كتاباً منزلا .

بقى أن هذا ظاهر فى توجيه الإيمان بالغيب ، وسبقها على الإيمان بما أنزل على محمد . لكن يبقى السؤال قائماً فى سبق إقام الصلاة على قوله « يؤمنون بما أنزل إليك » لأن إقام الصلاة مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك يتوجه هذا السؤال عينه فى قوله : « ومما رزقناهم ينفقون » .

وإنا جوابا على هذا نقول : إن الصلاة بعموم معناها ترجع إلى تعظيم الله واللجوء إليه والاستعانة به دون سواه ، ودعائه كلما حزب المرء شدة ، ولا ريب فى أن كل تلك المعانى من مقتضيات الإيمان بالله ، والاقتناع بما له من سامى الصفات وأنه الواحد لا شريك له ، والخالق لكل شىء ، والمهيمن على كل شىء ، والمالك لكل شىء . لهذا جعل إقام الصلاة من الصفات المعطوفة على الإيمان بالله إيذاناً بأن الصلاة ـ وهذا هو معناها ـ من مستتبعات الإيمان بالله الخالق الرازق الكبير المتعال . وأما إنفاق العبد مما رزقه الله ، فهو فى عموم آثاره ارتباط بمن حوله من الناس ، وتوثيق للعلاقات بينه وبينهم ، وتغذية بالمودة للقلوب وتصفية للنفوس ولا ريب أنه من مستتبعات الإيمان بالله ، والإيمان بصفاته ، وأنه الرحمن الرحيم . والرازق الكريم ، والعليم بما دق من الأعمال وجل ، والمحصى على كل امرىء عمله من خير أو شر ، ليجزى كلا بما عمل . لذلك جعل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من مستتبعات الإيمان الحق بالله القائم على الدليل والبرهان المدفوع إليه العبد وإن لم يدعه رسول أو يهده كتاب .

تلك هى مستتبعات الأصل الأول « لا إله إلا الله » ، وأما مستتبعات الأصل الثانى وهو الإيمان بالكتب المنزلة قبل القرآن من التوراة والإنجيل وغيرها . وبالرسل الذين أنزل عليهم تلك الكتب . والإيمان الحق باليوم الآخر . أما تلك المستتبعات فلأنها لما كانت لا سبيل إلى التصديق بها ، واليقين بصدقها إلا عن طريق إخبار الرسول ، فقد جعلت من مستتبعات الأصل الثانى . فكان للأصل العقلى مستتبعات ، وللأصل النقلى مستتبعات ، وبكليهما قام ركنا الإيمان ، وشيد أصلا الإسلام . فسبحانك اللهم مبدع كل شىء ، ما أبلغ ما أنزلت على رسولك الكريم ، وما أحكم ما أيدت به نبيك محمداً سيد الأولين والآخرين .

مكتبتنا العربية

الربا

فى نظر القانون الإسلامى

تعريب المحاضرة الفرنسية التى ألقاها فضيلة الأستاذ الدكتور « محمد عبد الله دراز »
مندوب الأزهر فى مؤتمر القانون الاسلامى المنعقد بباريس فى ٧ من يوليو سنة ١٩٥٤ م

— ٣ —

وجاهة التشريع القرآنى

من النواحى الثلاث : الأخلاقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية

ونعود الآن الى موضوعنا الأصلى ، وهو الربا الحقيقى ، لنعالج فيه الجواب عن سؤالين مهمين :

« أحدهما » : ما هى الأسباب المعقولة لهذا التحريم الصارم للمعاملة الربوية ؟

« الثانى » : هل الحياة الاقتصادية فى حالتها الحاضرة تعد ظرفا استثنائيا يترخص فيه بمخالفة هذا القانون ؟

أما مسألة معقولية النهى أو عدم معقوليته ، فإنها قد أثيرت فى عهد النبوة على لسان العرب أنفسهم فقد استنكروا هذه التفرقة بين البيع والربا قائلين : إذا أنتم منعتم ربح القرض ، فامنعوا كذلك كل ربح يجتلب من طريق البيع ، إذ هما سواء.

وكان رد القرآن على ذلك بتلك الكلمة الحاسمة ، التى لا تقبل مراء ولا جدالا : كلا ، ليس البيع مثل الربا ؛ فقد « أحل الله البيع وحرم الربا » (٢/٢٧٥) . على أنه لا يمكن أن يفهم من هذا الأسلوب أن أمر التشريع هنا يصدر عن إرادة جبروتية تقضى أحكامها نحكما وتعنتا ؛ فقد علمنا القرآن فى غير موضع أن الأوامر الالهية أنزه شيء عن هذا الحرج والعنت : « قل إنما حرم ربى الفواحش » (٧/٣٣) « قل أحل لكم الطيبات » (٥/٤) « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (٥/٦) .

يجب إذن أن تكون لهذا النهى دعائم قوية وأسباب معقولة تجعله فى مخزه من الصواب والحكمة . فما تلك الدعائم ؟

مكتبتنا العربية

١ ــ الدعامة الأخلاقية :

أول مايكشفه الباحث من أسرار التشريع فى هذا الباب هو بواعثه الأدبية الخلقية .

إن الضمير الإنسانى ليدرك بنوع من الحدس المباشر مدى الفرق بين الربح من طريق المعاملة (البيع) والربح من طريق المجاملة (القرض) . إنه ليدرك ذلك ويحسّه حتى فى الوقت الذى لا يستطيع فيه التعبير عن هذا الفرق . فان لم ندركه فى آن ما فانما هى غشاوة الهوى وحب الأثرة ، أو الغفلة وعدم التدبر ، هى التى تخفيه عن أعيننا . على أن الأمر يبلغ من الوضوح إلى حد تحسه كل الضمائر والوجدانات فى عملية « الإعارة » (للأشياء التى ترد بأنفسها إلى معيرها) . أليس كل واحد منا يستنكف حقيقة من أن يطالب بتعويض مالٍ عن ماعون يعيره لمن يحتاج اليه ، أو عن مساعدة أدبية كائنة ما كانت يقدمها للغير ، عملاً بقواعد حسن الجوار وأدب الاجتماع ؟ فلماذا يختلف النظر فى الأمر حينما تكون المعاونة على وجه « القرض » (للأشياء التى يمكن أن ترد بمثلها) ؟ مع أن الشأن فى الحالين واحد ، وهو أنهما يختلفان عن البيع اختلافا جوهريا ؛ ذلك أن الأمر فى البيع يتعلق بمالين مختلفين لكل منهما قيمته التى قد تزيد أو تنقص عن قيمة الآخر إما بسبب اختلاف الرغبات ، وإما بحسب قانون العرض والطلب . بينما المقصود فى القرض كما فى الإعارة هو استرداد الشىء نفسه ، إما بعينه أو بشىء مماثل له تماماً من جنسه . فليس هاهنا أدنى قصد للمبادلة بين مالين ؛ ولذلك ليس للمقرض أن يرفض قبول شيئه نفسه إذا أعاده له المقترض عند الأجل بحالته التى تسلمه عليها .

سيقول قائل : سلمنا بوجود هذا الفرق الجوهرى بين الوضعين . ولكن أليس كل صنيعٍ جميلٍ « له حق » فى المكافأة ؟

نقول : بلى ! ولكن لا ينبغى أن يلتبس علينا الأمر بين سلطان « الحق » وسلطان « الواجب » . إن سلطان الواجب أعلى ؛ وإن له لحقاً فى معارضة حقوقنا الطبيعية وفى تحديد مداها . وأى شىء أدخل فى باب الحقوق الطبيعية من حقنا فى المحافظة على حياتنا ؟ ومع ذلك فإن الواجب قد يفرض علينا أن نتنازل عن هذا الحق وأن نضحى بأنفسنا تضحية تامة فى سبيل قضية نبيلة : أدبية أو وطنية أو دينية أو غيرها .

مكتبتنا العربية

سيمضى السائل فى اعتراضه قائلا : إن هذه كلها اعتبارات أخلاقية . وقضيتنا قضية حق وقانون .

أما أنا فأجيب بأن كل مشرّع له الحق كل الحق فى أن يجعل من القانون الأخلاق قانونا مدنيا ، بل قانونا جنائيا إن شاء . وهذا بالضبط هو ما صنعه القرآن حين أعلن حرباً حقيقية على آكلى الربا .

٢ — الدعامة الاجتماعية :

ولو أننا نظرنا إلى القضية من ناحيتها الاجتماعية لظهرت لنا حكمة هذا التشريع وسداده فى أجلى مظاهرهما .

لا أقول فقط إن حياة المجتمع تصبح حياة لا تطاق لو أن كل فرد تمسك بحقه فى أدق حدوده ، ولم يجعل على نفسه سلطانا لفكرة البر والتعاون والتضامن والتراحم ؛ بل أقول إن مجرد تقرير ربح مضمون لرب المال ، بدون أن يكون فى مقابل ذلك ضمان ربح للمقترض ، — أقول إن هذا الوضع وحده فيه ما فيه من محاباة للمال ، وإيثار له على العمل ؛ وإن الضرر الذى ينجم عن ذلك ليس من نوع الأضرار الأدبية أو الأغلاط النظرية فحسب . (وأعنى بها قلب موازين الأشياء بوضع القيم الإنسانية موضعاً نازلاً وتفضيل القيم المادية عليها) ؛ بل إنه يمس بناء الجماعة مساً عنيفاً عميقاً . ذلك أننا بهذه الوسيلة نزيد فى توسيع المسافة وتعميق الهوة بين طبقات الشعب بتحويل مجرى الثروة وتوجيهها إلى جهة واحدة معينة ، بدلا من أن نشجع المساواة فى الفرص بين الجميع ، وأن نقارب بين مستوى الأمة حتى يكون أميل إلى التجانس وأقرب إلى الوحدة .

إن اللمحة البارزة فى التشريع القرآنى ، وكذلك فى كل تشريع اجتماعى جدير بهذا الإسم ، هى الحيلولة دون هذه المحاباة لرأس المال على حساب الجمهور الكادح ، والسعى لتحقيق نوع من التجانس والمساواة بين أفراد الأمة .

إنها لكلمات قصيرة ولكنها ذات مدى بعيد ، تلك التى يرسم فيها القرآن دستور هذه السياسة ، حيث يقول : « . . . كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

مكتبتنا العربية

٣ — الدعامة الاقتصادية :

وأخيرا هلم بنا لننظر إلى القضية من وجهة العدالة الاقتصادية البحتة .

يقول لنا أنصار مشروعية الربا — ولهم بعض الحق فيما يقولون — : إن الربح الذى يحصل عليه المقترض من عمله فى المال الذى اقترضه إنما ينشأ وليداً من التزاوج بين العمل ورأس المال ؛ فكيف تخولون للعمل حقاً فى الربح ، ولا تخولون للمال حقه فيه . مع أنه زوجه وشريكه فى هذا النتاج ؟

ها هو ذا ـ فيما أرى ـ جواب هذه الشبهة :

أما أن الربح ليس ثمرة عنصر واحد بل ثمرة عنصرين متزاوجين فذلك حق لا شبهة فيه ، وليس لنا أن نتلكأ فى قبوله . غير أن المعارضين قد فاتهم شىء جوهرى ، وهو أنه بمجرد عقد القرض أصبح العمل ورأس المال فى يد شخص واحد ، ولم يبق للمقرض علاقة ما بذلك المال ، بل صار المقترض هو الذى يتولى تدبيره تحت مسئوليته التامة ، لربحه أو لخسره . حتى إن المال إذا هلك أو تلف فإنما يهلك أو يتلف على ملكه . فإذا أصررنا على إشراك المقرض فى الربح الناشىء وجب علينا فى الوقت نفسه أن نشركه فى الخسارة النازلة ؛ إذ كل حق يقابله واجب أو كما تقول الحكمة النبوية : « الخراج بالضمان » . أما أن نجعل الميزان يتحرك من جانب واحد فذلك معاندة للطبيعة . . . ومتى قبلنا اشتراك رب المال فى الربح والخسر معا انتقلت المسألة من موضوع القرض إلى صورة معاملة أخرى ، وهى الشركة التضامنية الحقيقية بين رأس المال والعمل . وهذه الشركة لم يغفلها القانون الإسلامى . بل أساغها ونظمها تحت عنوان « المضاربة » أو « القراض » . غير أنه لكى يقبل رب المال الخضوع لهذا النوع من التعامل يجب أن يكون لديه من الشجاعة الأدبية ما يواجه به المستقبل فى كل احتمالاته . وهذه فضيلة لا يملكها المرابون ؛ لأنهم يريدون ربحا بغير مخاطرة ؛ وذلك هو ما يسمى تحريف قواعد الحياة ومحاولة تبديل نظمها .

هكذا إذا سرنا وفقا للأصول والمبادىء الإقتصادية فى أدق حدودها كانت لنا الخيرة بين نظامين اثنين لا ثالث : فأما نظام يتضامن فيه رب المال والعامل

مكتبتنا العربية

فى الربح والخسر ؛ وإما نظام لا يشترك فيه معه فى ربح ولا خسر . ولا ثالث لهما إلا أن يكون تلفيقا من الجور والمحاباة .

هذه — فيما أرى — هى الأسس الأدبية والاجتماعية والاقتصادية التى قامت عليها وجهة نظر الإسلام فى قضية الربا .

وأما المسألة الثانية وهى حكم الربا فى وقتنا هذا فإنها ليست قضية « مبدأ » وإنما هى قضية « تطبيق » . وإنى أخشى أن أطيل فيها فأعتدى على موضوع زميلى وصديقى الدكتور الدواليبى رئيس مجلس النواب السورى . وهى فوق ذلك ليست فيما أرى من الشئون التى يقضى فيها فرد أو بضعة أفراد ، بل ينبغى أن يتداعى لها طوائف من الخبراء فى القانون والسياسة والاقتصاد من كل جانب ، وأن يدرسوها دراسة دقيقة مستفيضة من جميع نواحيها الحاضرة والمستقبلة .

وكل ما أريد أن أقوله الآن يتخلص فى جملتين صغيرتين ، أرجو أن يتخذا أساسا للبحث فى التفاصيل .

« الأولى » هى أن الاسلام قد وضع الى جانب كل قانون ، بل فوق كل قانون قانوناً أعلى يقوم على الضرورة التى تبيح كل محظور ، وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » (٦/١١٩) .

« الثانية » هى أنه لأجل أن يكون تطبيق قانون الضرورة على مسألة ما تطبيقا مشروعا لا يكفى أن يكون المرء عالما بقواعد الشريعة ، بل يجب أن يكون له من الورع والتقوى ، ما يحجزه عن التوسع أو عن التسرع فى تطبيق الرخصة على غير موضعها ، كما يجب أن يبدأ باستنفاد كل الحلول الممكنة المشروعة فى الإسلام ؛ فإنه إن فعل ذلك عسى ألا يجد حاجة للترخص ولا للاستثناء ، كما هى سنة الله فى أهل العزائم من المؤمنين ، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، (٦٥ / ٢ — ٣) .

مكتبتنا العربية

بيـان دينى

للهيئة العربية العليا لفلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الهادى الى الحق وإلى صراط مستقيم والصـلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الى إخواننا المسلمين فى السودان أعزهم الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فإنا نعرف حميتكم الدينية ، وتمسككم بأوامر شريعتكم الإسلامية ، ورغبتكم فى العمل مع إخوانكم المؤمنين العاملين ، على رفعة شأن الإسلام والمسلمين ، وتطهير بلاد الإسلام من رجس الاستعمار الأجنبي لتكون كلمة الله هى العليا ويكون المسلمون أحرارا فى بلادهم ، وتتحقق لهم العزة التى جعلها الله لعباده المؤمنين الصادقين .

ولمـا كان موقف البغى والعدوان الذى يقفه الإنجليز المستعمرون من مصر والسودان ، يحتم جمع الصفوف وتوحيد الـكلمة ، فإننا نهيب بكم أن تعملوا يدا واحدة وصفا واحدا فى سبيل الله ، هيئاتكم وجمعياتكم وأحزابكم ، متعاونين مع إخوانكم أهل مصر فى إخراج العـدو المستعمر من بلادكم ، يؤيدكم فى ذلك جميع المسلمين ، وإنا نعيذكم بالله ونعيذ بصائركم النيرة وإيمانكم المتين ، من أن تنخدعوا بألاعيب الإنجليز السياسية ، وزعمهم أنهم يريدون بكم خيرا ، بينما يبتغون من وراء ذلك شق صفوفكم ، وتفريق جمعكم ليضمنوا لحـكمهم الإستعمارى البقاء فى دياركم وبقاءكم تحت نير العبودية والذلة . فلا تركنوا إليهم واحذروهم كل الحـذر فإنهم أعداء وطنكم ودينكم ، ولله سبحانه وتعالى حذر المؤمنين من ذلك بقـوله سبحانه « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لـكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » .

مكتبتنا العربية

وإنا نناشد إخواننا السودانيين عامة ، وحزب الأمة خاصة ، ألا ينخدع منهم أحد فيتولى العدو المستعمر ، يقول بقوله ، ويعمل بإيعازه ، وينفذ خططه وسياسته ويتخذه وليا ونصيرا من دون المؤمنين ، والله تعالى يحذر من ذلك بقوله « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

إن هؤلاء الإنجليز الذين يظهرون لكم المودة إنما يفعلون ذلك ليخدعوكم (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) وهم لا يرضوا عنكم حتى تتبعوا ملتهم وأنتم تعلمون ما يصنعون مع إخوانكم أهل جنوب السودان الذى فصلوه عن شماله ليضلوا أهله ويبعدوهم عن هدى الإسلام ، يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » .

ثم لا يخفى عليكم حكم الشريعة الإسلامية بوجوب دفع العدوان عن بلاد المسلمين ، وإجماع جميع المذاهب الإسلامية على أن الجهاد فى مثل هذه الحالة فرض محتم على المسلمين كافة ما دام للعدو موطىء قدم فى البلاد ، وإن الواجب فى الدرجة الأولى على أهل الديار التى نزلها العدو ثم على من يليهم الى أن يتم دفع العدوان .

وإن من يتهاون فى دفع العدو ، أو يخذل المسلمين بتخلفه عن العمل مع إخوانه المؤمنين ، أو بتعاونه مع العدو على أى شكل ، وأن من يرضى بحكم الأجنبي أو يفضله على حكم المسلمين أو يأتى بأى قول أو عمل من شأنه أن يمكن للعدو من حكم المسلمين ، واحتلال أى جزء من بلاده ، والاستقرار فى أوطانهم فهو خارج عن الاسلام ، مفارق لجماعة المسلمين ، ليس من الله ولا رسوله ولا المؤمنين فى شيء ، يقول الله تعالى فى ذلك « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المومنين . ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء » .

أن العدو الذى يحتل مصر والسودان هو الذى كاد للمسلمين واعتدى على ديارهم منذ زمن بعيد ، وطوح بخلافتهم الاسلامية ، ودولتهم وممالكهم ، وهو

مكتبتنا العربية

لا يزال يكيد لهم فى كل مكان . وهو الذى عمل على إخراج المسلمين من ديارهم وظاهر على إخراجهم كما صنع بإخوتكم أهل فلسطين وغيرها ، فلا يجوز توليهم وفقا لقوله تعالى « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وعلى إخواننا السودانيين والمصريين أن يوقنوا أن قضيتهم هذه ليست قضية وادى النيل وحده ، ولكنها قضية جميع المسلمين ، وأن معركتهم هذه ضد الاستعمار الغاشم هى معركة حاسمة لا يقتصر أثرها عليهم وحدهم ، بل تؤثر أيضا على مصير الاستعمار فى سائر أقطار الإسلام ، ولذلك فأن أى تقصير أو عمل فى هذه المعركة الحاسمة من قبل الأفراد أو الجماعات أو الأحزاب والهيئات ، يوطد للعدو استمرار إحتلاله وعدوانه على أى جزء من أراضى مصر أو السودان إنما هو فى حقيقته نصر وتأييد لعدو الإسلام الغاشم ، وتعضيد له على الاستمرار فى إستعماره أقطار الإسلام الأخرى .

والنتيجة فأن كل من يخذل المسلمين فى دفعهم هذا العدو عن مصر والسودان ، أو يعقد عن نصرتهم ، أو يأتى بقول أو عمل ، من شأنه أن يساعد العدو ويمكن له من بقاء سيطرته فى مصر والسودان ، أو يفضل حكم هذا العدو على حكم المسلمين يعتبر مظاهرا لعدو الاسلام ضد المسلمين متخذا إياه وليا من دون المؤمنين وينطبق عليه الوعيد الشديد الذى جاء فى قول الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا » . ويقول تعالى : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا » ويقول تعالى : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » .

وقد قال الأئمة المفسرون أن معنى قوله تعالى « فإنه منهم » أى من جملتهم وحكمه حكمهم . هذا حكم الله وهذه حدوده « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » : « يا أيها الذين آمنو إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

السيد الحميرى

للأستاذ الشيخ محمود الدوارى

المفتش بالأزهر

إذا أنا حاولت أن أعرّف القارئ الكريم بشاعر كالسيد له ناحية من نواحى الشذوذ فى بعض عقيدته فإننى فى الوقت نفسه أحاول أن أزف إليه من طرائف الأدب العربى عرائس تهديها قريحته الصافية وعروبته الصادقة وطبعه السليم أحاول أن أقدم له شاعرا مغمورا ، وكنزاً مستورا ، شاعراً حلو الشعر عذب الديباجة ، جزل العبارة . يستهويك نظمه ، ويقتحم على فؤادك أسره ، ويعمل فى نفسك عمل السحر لا يواتيه فى الشعراء إلا أمثال أبى نواس وبشار وأبى العتاهية ممن طبعوا بطابع يضم جزالة إلى حلاوة . وسموا إلى دنو قد أقاموا عمود الشعر العربى مشرق الديباجة وضاح المحيا ولئن كان السيد الحميرى ممن زلت بهم القدم فما كان زلله إلا غلوا فى حب دين سرى إليه من بيئة مضللة ولعل جانبه أقرب إلى الأمن من أمثال بشار وأبى نواس وغيرهم ممن نوهوا بالخلاعة ، وروجوا للدعارة ، وما طعن ذلك فى نواحيهم الفنية ولا حال دون الايمان بأدبهم ووضعهم فى مراتب الفحول ، وبعد فهل درس الناس شاعرا يوما على أنه صديق أو ناسك أو قديس إذ الوضع فى قائمة الصوفية والحنفاء . ولم يكن جدير أن يكون من الشعراء .

* * *

هذا الشاعر — إسماعيل بن محمد بن يزيد — من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية نشأ والشعر العربى فذ قوى لم يتسرب إليه وهن ولا ضعف فى أخريات أيام بنى أمية الذين أسلموا زمام اللغة العربية إلى البهاليل من بنى العباس فزادوها روعة . وصقلوها صقلا وباركوا أدبها ، فأحفلوه خصوبة . ولد فى سنة ١٠٥ للهجرة فهو ناشىء منذ عهد هشام بن عبد الملك ذلك العهد الذى اشتدت فيه الدعوة الهاشمية وبدأ محمد بن على بن عبد الله بن عباس يطلب الخلافة لنفسه . ويحتج بأن

مكتبتنا العربية

أبا هاشم بن محمد بن الحنفية أوصى بها له قبل وفاته ثم هو من البيت الهاشمى الذى هو أحق من بنى أمية بهذا الأمر وهـذا مبدأ معروف من قبل وله شيعة وأنصار حتى فى الشعراء من أمثال العزوق والـكميت وكثير وغـيرهم من شعراء الشيعة العلوية قبل أن يتحول الأمر إلى بنى العباس .

صادف هـذا المذهب هوى فى نفوس الناس وقامت له دعايات فصلها التاريخ فى كتبه وهفت إليه نفوس كثير من الشباب المولعين بكل جديد طريف . والثائرين على كل قديم سخيف ، ولا سيما إذا كان ذلك القديم شيئا طال أمده كعهد بنى أمية ، وحف به بعض المـكاره ومظاهر الشر كما كان فى خلافتهم أيضا ، وكان من أولئك الشباب المولعين بالدعاية الهاشمية والمصفقين لهـا والمجروفين بتيارها . شاعرنا الشاب الألمعى إسماعيل بن محمد (السيد الحميرى) وكان قد اتصل بمذهب الـكيسانية وهم قوم ينتسبون إلى المختار بن أبى عبيد الثقفى من الرافضة الذين ينصرون الابن الثالث من أبناء على ، محمد بن الحنفية وكانوا يدينون بأنه لم يمت وإنما تغيب عن الناس واحتجب عنهم حينا وسيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً . وكانوا يقولون إنه فى الجبل بين أسد ونمر يحرسانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل وكان السيد الحميرى إذا سئل عن مذهبه أنشد :

سمى نبينـا لم يبـق منهم ... سـواه فعنده حصل الرجاء
تغيب غيبة من غـير موت ... ولا قتـل وسار به القضاء
وبين الوحش يرعى فى رياض ... من الآفاق مرتعها خـلاء
فحـل قبابها بشر سـواء ... بعقوتها له عسل وماء [1]
إلى وقت ومدة كل وقت ... وإن طالت عليه لها انقضاء
فقل للناصب الهادى ضلالا ... تقوم وليس عنـدهم غنـاء
فـداء لابن خولة كل ندل ... يطيف به وأنت له فـداء

وإن تعجب أيها القارئ الـكريم فعجب تلك العقائد المدخولة ، والمذاهب المرذولة وفى الحق إنها أفـكار بثها اليهود والمجوس فى الأمة الإسلامية ليردوهم

(١) العقوة ما حول الدار والعقوه شجر .

مكتبتنا العربية

وليلبسوا عليهم ودينهم وهو مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلو جحر ضب لدخلتموه ، وقد عرف من عقائد اليهود أنهم كانوا يقولون إن الياس صعد إلى السماء وسيعود فيعيد الدين والحديث حول هذا الشاعر من هماته الناحية يطول . ولكن هذا أصل تعرف به كيف كان شعره فى هذا الموضع وحده من بين أغراض الشعر (١) وأنه كان أحيانا ينكر المدح المنبعث عن مطلب دنيوى وينعى على صاحبه .

روى صاحب الأغانى وصاحب غوات الوفيات أن السيد الحميرى وقف على بشار وهو ينشد شعرا فأقبل عليه وقال :

أيها المادح العباد ليعطى ... إن لله ما بأيدى العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم ... وارج نفع المنزل العواد
لا تقل فى الجواد ما ليس فيه ... وتسم البخيل باسم الجواد

فقال بشار من هذا ؟ فأخبر به ، فقال لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بنى هاشم لشغلنا ، ولو شاركنا فى مذهبنا لتعبنا ، وهى لعمر الله شهادة عظيمة من شاعر مخل ، ولو أن السيد كان قد قصر شعره على مدح بنى هاشم فقط لهان أمره ، ولكن عصبيته المقيتة دفعت به فى تيار من الإثم كان يسجله فى شعره ، وكانت الرواة تتحامى روايته تأثماً أحيانا ، وتقية أحيانا . فقد أظهر فى شعره خلطا دينيا ، وخبطا اعتقاديا ، وسب بعض الصحابة ، وبعض أمهات المؤمنين ، لخلافهم على على كرم الله وجهه ، ولولا ذلك الخبط لكان لنا ثمر شهى كثير وأدب رائع وفير من آثاره . فانظر ما يقول صاحب الأغانى فى شأنه (٢) . كان شاعراً متفوقا مطبوعا يقال : إن أكثر الناس شعرا فى الجاهلية والإسلام ثلاثة ، بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، فانه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر واحد منهم أجمع ، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب الصحابة وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعره ، ويستعمله من قذفهم والطعن

(١) هو الاختصاص بمدح بنى هاشم والعصبية لهم .
(٢) ← ٧ ← ٩٣٢ .

مكتبتنا العربية

عليهم فتحومى شعره من هـذا الجنس وغيره لذلك ، وهجره الناس تخوفا وتراقبا ، وله طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقاربه » .

كان السيد الحميرى إذاً من شعراء الشيعة يمثل نوعا من العصبية الدينية السياسية وكان السيد الحميرى يضم إلى تلك الناحية ناحية أخرى بغيضة من السلوك تلك هى استباحته ضروبا من اللهو والمجون ومعاقرة الخمر ، وحجته فى ذلك أوهى من حجته فى عقيدته ، فقد كان يفعل ذلك بحكم الدالة على محمد وآله ويقول إنهم شفعاء له ، وإن حبهم يمحو كل خطيئة ، يفعل ذلك وهو أمين بدينه فى زعمه ، ويفعل ذلك وهو آمن فى دنياه من سخط الولاة وإقامة الحد عليه لأن الولاة فى حاجة إلى مرضاة شاعر مثل ، فهم لا يهجونه ولا يتبحثون مساخطه ، وبخاصة أنه يجاملهم ويمدحهم لأنهم بنو هاشم ، ولأن الإمام المختبىء لم يظهر بعد . وهؤلاء العباسيون وصية إبنة أبى هاشم ، على أننى أعتقد أنه لم يكن خالص الحب لبنى العباس . وأنه كان ربما جاراهم وداراهم خلا أن بعض المتزمتين من أهل العلم والمروءة كانوا يكرهون ذلك المجون منه ، ويمقتونه أشد المقت ، ويحاولون إغراء الخلفاء به .

وكان سوار بن عبد الله قاضى البصرة للمنصور من هؤلاء وله معه أحاديث وحوادث يطول سردها ، ولكنى أذكر منها حادثة تلقى ضوءاً على بعض شعره فى الجملة مع ما تصوره من رأى القاضى فيه .

روى صاحب الأغانى بسنده قال : قال الحارث بن عبد المطلب :

كنت فى مجلس المنصور بالجسر وهو قاعد مع جماعة على دجلة بالبصرة ، وسوّار قاضى قضاة البصرة جالس والسيد بن محمد بين يديه ينشده :

إن الإله الذى لا شىء يشبهه ... أعطاكم الملك للدنيا وللدين
أعطاكم الله ملكا لا زوال له ... حتى يقال إليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذاً برمته ... وصاحب الترك محبوسا على هون

والمنصور يضحك سروراً بما ينشده ، فخانت منه التفاتة فرأى وجه سوّار يتربد غيظا ، ويسودّ حنقا ويدلك إحدى يديه بالأخرى ويتحرق فقال له المنصور مالك ؟ أرابك شىء ؟ قال : نعم هذا الرجل يعطيك بلسانه ما ليس فى قلبه ، والله

مكتبتنا العربية

يا أمير المؤمنين ما صدقك ما فى نفسه وإن الذين يواليهم لغيركم . فقال المنصور مهلا هذا شاعرنا ووليتنا وما عرفت منه إلا صدق محبة وإخلاص نية ، فقال له السيد : يا أمير المؤمنين والله ما تحملت غضكم لأحد ، وما وجدت أبوى عليه فافتتنت بهما وما زلت مشهوراً بموالاتكم فى أيام عدوكم ، فقال صدقت . قال : لكن هذا وأهلوه أعداء الله ورسوله قديماً . والذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات فنزلت فيهم آية من القرآن (أكثرهم لا يعقلون)[1] وجرى بينهما خطاب طويل فقال السيد قصيدته التى منها :

يا أمين الله يا منصور يا خير الولاة
إن سوار بن عبد الله من شر القضاة
نعثلى[2] تجلى من لكم غير موات
جده سارق عنز فجر من فجرات
لرسول الله والقا ذف بالمنكرات
وأمين من كان ينادى من وراء الحجرات
يا هناه أخرج إلينا إننا أهل هنات[3]
مدحنا المدح ومن نر م يصب بالزفرات
فاكفيته لا كفاه الله شر الطارقات

واشتدت الخصومة بينهما ، وتكرر الشعر من هذا النوع ، حتى عزل المنصور سوّار عن القضاء على السيد ، ولم ينفعه احتياله فى اقصائه .

---

[١] هم قوم من تميم منهم عتيبه بن حصن والأقرع بن حابس .

[٢] نعثلى نسبة إلى نعتل كان يلقب به عثمان هجاء له وجعلى نسبة إلى الجمل جمل عائشة .

[٣] يا هناه يا فلان وهنات كناية عما يستقبح - يهددون رسول الله .

مكتبتنا العربية

السياسة الخارجية للاسلام

لحضرة الاستاذ الدكتور محمود دياض
مدرس التاريخ الاسلامى بكلية أصول الدين

تحدثت إليك أيها القارىء الكريم فيما سلف ، عن مبادىء الإسلام السياسية والدستورية ، والاجتماعية والاقتصادية وأظهرت لك أنها أسمى النظم ، وأن كل النظم الحديثة ـ سواء منها الديموقراطية الرأسمالية ، أو الديموقراطية الاشتراكية ـ لا يمكن عن أن تصل مهما حاولت ، الى قريب مما تكفله المبادىء الإسلامية من سعادة للانسانية ، وخلصنا مما قدمته من بحوث الى أن الاسلام قد أقام دولة . لها كيانها وشخصيتها ، ولها دستورها العام ، وتشريعاتها لمواجهة الجزئيات والمستجدات ولها نظام خاص (هو النظام الإسلامى) تتميز به عن غيرها ، فى جميع أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد ، ثم حدثتك عن غاية الدولة الإسلامية ، وعن هدفها الأول . وهو الدعوة الى توحيد الله ، ونشر هدايته بين خلقه ، وتحقيق السلام والرخاء ، فى ظل الأخوة والمحبة . للبشرية كلها : فإذا عرفت هذا فاعلم أيضا ، أن الإسلام دين عام للناس كافة ، ومن حق الناس الذين لم يعرفوه . وحتم على عارفيه أن يبلغوه الى جاهلية . ومن هنا تدرك معى بوضوح ، أنه لا بد من وجود صلات بين المسلم وغير المسلم ، ولا بد من قيام علاقات بين جماعة المسلمين « الدولة الإسلامية » وبين غيرها من الجماعات والدول فى بقاع الأرض ، فعلى أى أساس تقوم هذه الصلات ، وكيف تنظم تلك العلاقات ، وهل الأصل فيها الحرب أو السلام ؟ ؟ وهذا ما سنحاول الكشف عنه ، راجين التوفيق من الله ، وإليك هذه الكلمات !

أولا ـــ السلام طابع الدعوة : عرفت أن المسلمين قد ورثوا نبيهم عليه السلام ، وخلفوه على رسالته والحفاظ عليها ، وأن الأمة الإسلامية أمة مكلفة مسئولة ، وقد نيط بها تبليغ رسالة الرسول الكريم بعد أن لحق بالرفيق الأعلى ، الى جميع الخلق ، وأوجب الإسلام على المؤمنين دعوة الأمم الى الإسلام ، وإرشادهم

مكتبتنا العربية

الى هداية الله ، والدعوة الى الإسلام — فى عهد الرسول وبعده — دعوة مسالمه هينة لينة ، ليس فيها عنف ولا إكراه ، أتدرى لماذا ؟ لأن مبادىء الإسلام سهلة ميسرة للأفهام ، لا غموض فيها ولا أسرار ، مبادىء فطرية تتجاوب معها النفوس الفطرية ، وتهش لها العقول الزكية ، ولقد يسرنا القرآن للذكر . فهل من مدكر ؟ ، والإيمان بمثل هذه الدعوة يجب أن يكون إيمانا خالصا قائما على الاقتناع والاطمئنان القلبي ، وما لم يكن القلب مطمئنا الى الدعوة ومبادئها ، فمحال أن يحل فيه إيمان بها ، وهذا شأن العقيدة الدينية دائما ، بل شأن العقيدة مطلقا ، لا بد أن يتفتح لها القلب ليتركز فيه الايمان ، بعد الاقتناع البرهانى بمقرراتها ، وإذن فدعوة الاسلام يجب أن تسلك الطريق الطبعى الى القلوب والعواطف ، وطريق الوصول الى القلوب والعواطف ، طريق سلام وبرهان وحكمة . ولم يكن يوما طريق حرب وإكراه وتعسف ، والناس أمام الدعوة أصناف ، صنف العلماء والحكماء ، وطريق دعوتهم ، الحكمة ، ومقتضياتها ، وصنف العامة وهؤلاء تستهويهم الموعظة الحسنة ، وضرب الأمثال ، والوصول بهما الى عقولهم وقلوبهم ، وصنف مجادل مكابر ، يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ويعرفون الدعوة وصاحبها كما يعرفون أبناءهم ، وهم مع ذلك يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق ، وهؤلاء طريق دعوتهم حسن الجدل ، وهذا هو ما رسمه الله لرسوله عليه السلام إذ يقول له : « أدع الى سبيل ربك . بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، وهى خير الطرق الموصلة الى القلوب والعقول ، والتى تضمن الاقتناع والرضى وحسن الايمان ؛ وفى ذلك دلالة على أن السيف لا يبنى فى القلوب دينا ، ولا يؤسس عقيدة ، إذ لاسبيل للسيف الى القلوب ، لأن العقائد يبنيها القلب عن رضى واطمئنان لاعن جبر وقهر وإكراه ، وهكذا الدين الحق ، السليم المبادىء ، لا يحتاج فى توغله فى القلوب الى القهر والطغيان ! !

« لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى . . » « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ولقد أثبتت التجارب فشل كل المبادىء والدعوات التى اعتمدت على الإكراه والعنت ، وما كان لدين يطمئن الى قدسيته أن يتخذ القهر والعنف والإكراه وسيلة لإرغام الناس على قبوله ،

مكتبتنا العربية

لأن مثل هذا لا يمكن أن تتقبله القلوب ولا تؤمن به ، وكفى أن يكون القهر وسيلته لتنفر منه القلوب ، لأنه بذلك يعلن عدم حقيقة ، وعدم صلاحيته ، ومن هنا تدرك مبلغ التجنى على الإسلام ، من أولئك الذين يزعمون : « إنه قام بالسيف ، واعتمد عليه ، واحتمى به » ، وهم يعلمون أنهم كاذبون ؛ وسأزيدك اقتناعا بكذبهم فيما سأعرضه عليك فيما بعد إن شاء الله ، ومن هنا أيضا تدرك أن الصلة أو العلاقة التى تكون بين المسلمين وغيرهم ، إنما تقوم على أساس هذه الدعوة ، دعوة المسلمين غيرهم الى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتى هى أحسن ، والوسائل المادية التى تحمل الدعوة الى غير المسلمين هى . الكتب والرسل والوفود ؛ وقد تقبل الدعوة ، وقد ترفض رفضا سلبيا ، وقد ترفض رفضا مصحوبا بالأذى للرسل والوفود . أو مصحوبا بحملة حربية ولكل حالة حكمها ، ووسيلة مجابهتها .

ثانياً — تأمين الدعوة والدفاع عنها : قد رأيت أن الإسلام ، يقرر الحرية الفكرية . حرية الرأى والاعتقاد ، وحرية التدين والعبادة ، وأنه جعل ذلك حقا فطر يالكل إنسان فى كل زمان ومكان ، يجب تمكينه من التمتع به دائما ، غير باغ ولاعاد ، ولا معطل لحق من حقوق الآخرين ، وإذا كان الاسلام يعطى هذه الحقوق لغير نبيه ، فبدهى أنه لا يحرم نفسه وأتباعه منها !! وإذن فمن حق المسلم أن يدعو الناس إلى الإسلام ، دعوة هادية رشيدة بالطرق السلمية التى تحدثنا عنها . ولكن ماذا يفعل المسلم إذا صودرت حقوقه وحرياته ، ومُنع من ممارسة ما وهبه الله له من حريات ، وصد عن الدعوة إلى الله بمختلف الوسائل ؟ أيستكين ويسلم لعدوه صغيرا ذليلا ، أم يحرص على مباشرة حقوقه ، ودفع العدوان عن دعوته وعن نفسه ؟ لقد حتم الإسلام على المؤمن أن يكون قويا عزيزا كريما ، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . وألا يقبل الذلة والدنية ، لأن المسلم الذى يقبل الضيم لم يخالط الإيمان بالله قلبه ، أو ليس فى مصادرة حريات المسلم فى الدعوة إلى عقيدته استهانة به وبها ، واحتقار له ولها ؟ وكيف يقبل المؤمن الاستهانة والاحتقار ؟ ! وإذن فلا بد من تأمين الدعوة . وحماية أصحابها والدفاع عنها !

أقام الرسول عليه السلام بمكة زمنا طويلا يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل المكيين بالتى هى أحسن ، ولقى الرسول والمؤمنون من المكيين أذى

مكتبتنا العربية

كثيرا ، وكان المؤمنون يستأذنونه عليه السلام فى دفع أذى المشركين بسيوفهم ، فكان يقول لهم : « لم أومر بقتال . لم أومر بقتال » لأن الدعوة حينئذ فى طورها الأول لم تستنفد بعد كل الوسائل السلمية ، ويجب أن تستنفدها ، حتى تقيم الحجة على المعاندين ، وتقطع التعلل على المكابرين . الذين ألفوا الشرك وورثوه كابرا عن كابر . سيما والأذى لم يصل بعد مرحلة سفك دماء المسلمين ، وهو لهذا يمكن أن يحتمل رجاء أن يثوب القوم إلى رشدهم ، فلما عظم الأذى ، وفكر المكيون فى سفك دماء الرسول الكريم والمؤمنين به ، خرجوا من ديارهم مهاجرين ، ولكن المكيين تعسفوا وتعقبوا المسلمين وترصدوهم فى مهجرهم ، وقصدوهم بالعدوان ، ولم يعد البرهان صالحا لملاقاة السيوف ودفع شرورها ، وهنا « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدير » . وهكذا قرر القرآن أن المسلمين قد ظلموا بمصادرة حرياتهم ، والعدوان عليهم ، وصدهم عن الدعوة إلى الله ، وأن المظلوم من حقه أن يدفع الظلم عن نفسه بالسيف والسنان ، إذا لم يسعفه اللسان والبرهان وبهذا يتمرر الاسلام مشروعية الحرب ، دفعا للظلم ، وردا للعدوان ، وتأمينا للحريات ، وتمكينا لحرية التدين والاعتقاد ، ودفاعا عن الدعوة وأصحابها ؛ ويؤكد لك هذا المعنى قوله تعالى : « قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم . ولا تعتدوا . إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم . وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل . ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه . فأن قاتلوكم فاقتلوهم . كذلك جزاء الكافرين . فأن انتهوا . فأن الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة . ويكون الدين لله . فأن انتهوا . فلا عدوان إلا على الظالمين » . « الشهر الحرام بالشهر الحرام . بالشهر الحرام والحرمات قصاص . فمن اعتدى عليكم . فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . واتقوا الله » . وأنت ترى فى هذه الأوامر الصريحة أن القرآن يحرم الحرب العدوانية التى لا يدفع إليها إلا فساد الفطر ، والطغيان ، والرغبة الآثمة فى استغلال الناس ، ومصادرة حرياتهم وحقوقهم الفطرية ، واتخاذهم عبيد اللطغاة كحروب الاستعمار فى هذه العصور ؛ بل إن تحريم العدوان مصحوب بإنذار المعتدين بغضب الله ، وهذا أمر يدفع المسلم دفعا جبارا إلى تجنب العدوان حرصا على حب الله ورضاه « ولا تعتدوا . إن الله لا يحب المعتدين » .

مكتبتنا العربية

وفى السنة الثامنة للهجرة بعث الرسول عليه السلام كتبا ورسلا إلى كسرى وقيصر والنجاشى ومقوقس مصر والأمراء المجاورين لجزيرة العرب . فأما كسرى الفرسى فمزق الكتاب وأهان الرسول وحبسه . وبعث إلى عامله على اليمن يأمره بإحضار هذا العربى الذى تجرأ على دعوته إلى دين يجهله . وأما غيره — باستثناء النجاشى والمقوقس — فقد مزقوا الكتب ومنهم من عذب الرسل ، ومنهم من قتل الرسل وبالجملة قد قوبلت كتب الرسول ورسله مقابلة شاذة لم يتعود مثلها أهل الشرف والكرامة ، وقد توفى عليه السلام قبل أن يعاود دعوتهم إلى الله ، أو يغسل هذه الإهانة . وكان ذلك واجبا على خلفائه من بعده ، وقد قاموا بهذا الواجب ؛ واتصلوا بالفرس والروم والشعوب المجاورة للعرب ، واتبعوا فى صلاتهم بهم المنهج السلمى الذى سار عليه الرسول ، ثم المنهج العسكرى الذى قررت قواعده الأصلية بالوحى فى عهد الرسول ، ونحن نجمل ذلك فيما يلى :

يجب على المسلمين أن يعرفوا الناس بالإسلام ، ويبلغوهم رسالة الله . فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وحينئذ يجاوزهم المسلمون إلى غيرهم ، فإذا اعتدى غير المسلمين ، أو صدهم عن الدعوة إلى الله ، فعلى المسلمين أن يردوا العدوان ، ويزيلوا العقبات التى تصدهم عن مباشرة حقوقهم فى الدعوة السلمية إلى عقيدتهم ، فإذا انتصر المسلمون ، ورفض العدو الدخول فى الإسلام ، وآثروا البقاء على عقائدهم . فلهم ما اختاروه ، ولكن عليهم الإذعان ، والخضوع للدولة الإسلامية ، وعليهم أن يشاركوا فى أعبائها « بالأموال المناسبة » وعلى الدولة حماية دمائهم وأعراضهم وأموالهم ، وضمان حرياتهم الشخصية والدينية « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

وإذا دعى المسلمون غيرهم إلى الاسلام ، فرفضوا الدخول فيه ، غير معتدين

[illegible]

مكتبتنا العربية

« لا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . .

ولما كانت الدعوة الإسلامية دائمة خالدة ، وواجب المسلمين نحوها دائم مستمر ، أمر الله سبحانه بالاستعداد الدائم لحماية الدعوة ورد العدوان عن الإسلام وأهله ، وأمر المسلم أن يحمل القرآن فى يد والسيف فى أخرى داعيا إلى الله ، مجاهدا فى سبيل إعلاء كلمة الله ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم » . . وعلى المسلم أن يكون دائما مسلما مستعدا البذل والتضحية ، ابتغاء وجه الله وصالح الإنسانية ، وليتذرع لذلك بكل أسباب القوة ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وأنت ترى الدعوة إلى الجهاد ، والاستعداد الحربى الدائم ، مبعثه عدوان الأعداء علينا ومصادرتهم لحرياتنا ، وصدهم عن سبيل الله . ولو أنهم تركونا وشأننا ، لما رأوا سيفا مصلتا ، ولا جيشا محاربا ، ولكنهم قد عودونا الغدر والعدوان ، فأمرنا الله أن نكون لهم يقظين ، أقوياء مستعدين للنزال عند داعيه ، وما الفرق بين موقف الإسلام من الدعوة الى الجهاد والاستعداد الحربى الدائم ، وبين ما يسمونه اليوم : السلام المسلح ، أو التسلح من أجل إقرار السلام ؟ إن يكن ثمت فرق ، فهو أن سلامنا المسلح لا يقر الاعتداء على الضعفاء ، ولا المبادءة بالعدوان على الأقوياء ، ولا الغدر ولا الخيانة ، وإن السلام المسلح الحديث ، يقر العدوان والطغيان والغدر ، على الضعفاء والأقوياء على حد سواء .

وإلى هنا يتضح لنا أن السياسة الخارجية للاسلام ، تقوم على أساس الدعوة إلى الإسلام ، وإلى الجهاد فى سبيل حماية العقيدة ودفع الظلم ورد العدوان ، وهذا الأساس هو الذى يحدد العلاقات الدولية وينظمها بين المسلمين وغير المسلمين ، أما كيف ينظم الإسلام العلاقات الدولية على هذا الأساس ؟ فهذا ما أحدثك عنه فى كلمة تالية بإذن الله ، والله يهدينا الى الحق ، ويوفقنا لخدمة الإسلام وإيقاظ المسلمين ؟

مكتبتنا العربية

قصـــــة

لفضيلة الشيخ ابراهيم أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

الحديث فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متعة روحية ، وغذاء نفسى وجلاء للقلوب من صدأ الجهالة ، ودنس الجحود ، ووضر الغفلة والنسيان ، لأنهم أمثلة من الإيمان النقى ، والعقيدة القوية ، والدين الصحيح ، والعزيمة التى لاتعرف التردد ، ولا تألف النكوص ، ولا تستسيغ التخاذل والضعف .

وقد كان النبى الأمين ـ هدانا الله بهديه ، ورزقنا حسن الاقتداء به ـ لا يترك مناسبة من المناسبات دون أن يشيد بقدرهم ، وينوه بذكرهم ، ويعلن عن حبه لهم ، ورضاه عنهم ، واعتزازه بهم ، من غير تفضيل لواحد على الآخر ، أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ولعل السر فى ذلك أنهم لم يكونوا مؤمنين به ليدفعوا عن أنفسهم تهمة الكفر ومسبة المروق ، ووصمة التمرد على الله سبحانه وتعالى . ولكنهم كانوا مؤمنين بكل ما تحتمله كلمة الإيمان من معنى الإذعان والخضوع ، والانقياد والطاعة ، والبذل والفداء ، والجهاد والتضحية ، والإخلاص للدين ، والذود عن راية الإسلام ، ولهذا دوّت بهم صيحة الحق وزلزلت عروش الباطل ، وطارت تيجان الظلم ، ومادت صروح العسف والطغيان ، وجعل الله لهم المهابة فى أفئدة العدو الغاشم .

وكان الرجل منهم لا يعتبر نفسه فرداً منكوراً فى سواد الإنسانية ، يزيد فى حسابها ، ويخط الكاتبون اسمه فى ديوانها ، لمعرفة العدد ، وترتيب الجماعة ، إنما كان يجعل جوارحه وإحساسه ، وجهده وتفكيره ، وحبه وميله ، وعطفه وده ، مصروفة كلها إلى العمل على أن تدرك الأسرة البشرية ممن تربطه بهم الروابط ، وتصله بهم الوشائج ، أنه يكمل نقصها ، ويدعم بناءها ، ويؤدى وإياها رسالة للنهوض والعمران ، والرقى والتقدم ، والحضارة والمدن ، والسياسة والإصلاح .

مكتبتنا العربية

وبذلك حققوا الأخوة التي أرادتهم عليها الشريعة . وساقتهم اليها التكاليف ، وهذبتهم بها تربية السماء .

وهذه حادثة جرت المناوشة فيها بين اثنين منهما ، ثم لم تزد على أن تجلت عن أدب جم ، وحرص على دوام الصلة ، ورغبة أكيدة فى نمو الحب ، وازدهار شجرة المؤاخاة .. مع أن الظروف التى أحاطت بها ، الملابسات التى اكتنفتها ، كان الشأن فيها ألا يجد المتلمس فيها سبيلا إلى الصفو ، ولا مرتعاً إلى الرضا والصفح ، والعفو والتسامح

وتفصيل ذلك أن عثمان رضى الله عنه ماتت زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان حزنه عليها شديدا ، وأسفه لفراقها أليما ، وهمه بفقدها بالغا ، وبث من جراء ما حل بها يتجاوز غاية الاحتمال ، لا لأنها كانت تواسيه فى الشدائد ، وتعينه على المصائب ، وتؤازره لدى المحن ، وتمسح عليه حين تعركه خطوب الأيام والليالى ، وهنالك يزول ما أصابه ، ويهون ما غشيه ، ويخف وقع الضربات التى تسددها نحوه المقادير .

بل كان حزنه إلى جوار ذلك وذلك أنها ابنة ذلك الرجل الذى وضع الله مصير العرب والعجم بيده ، وجعل حديثه على الأفواه ، وشريعته ناسخة للشرائع ، وكتابه معجزاً للناس ، ومكانته لا يتسامى إليها متطلع ، ولا يشرئب إليها عنق ، ولا يدانيها متوثب طموح ، وإن شرف الانتساب إليه توفيق من الله الذى يهيمن على ملكوت السموات والأرض ، وما كانت تخطر بخياله الداهية بموتها إلا ثارت فيه نوازى الغضب ، وبراكين الحسرة ، وعواصف الكآبة العميقة .

وكان كل كلام يخرج عن نطاق العزاء أو المجاملة فى إبداء الأسف لا يجد الأذن التى تسمع ، ولا القلب الذى يسعى ، وبينما عثمان فى غمرته هذه جاء إليه عمر يعرض عليه ابنته حفصة ، وربما كانت هذه شنشنة كثير من العرب فى زواج بناتهم ، وليس من العيب أن يختار الأب لابنته ، أو يذكرها للكفء من ذوى الأحساب العظيمة ، والأنساب الشريفة ، والأعراض الطاهرة ، والسلوك الحميد .

ولذلك لم يكن فى صنيع عمر من الغضاضة ما يستأهل معه الإعراض والإنصراف .

مكتبتنا العربية

فلما قابله صاحبه بالإغضاء ، وجازاه على عنايته به ، واهتمامه لأمره ، هـذا الجزاء كانت دهشته داهشة ، وذهوله كبيراً ، وأخذ الألم يحز فى نفسه حزّ السكين فى قلب المذبوح ، ولم يسعه إلا أن يذهب إلى الرسول الكريم يقص عليه قصته وقصة عثمان معه ذلك الذى أنساه هول المصاب أن الذى يكلمه عمر بن الخطاب ، وأنه لا يكلمه كلاما وكفى .

وكيف يكون كذلك وهو يعرض عليه أن يجعل ابنته « حفصة » فى مكان رقية التى فرق الله بينه وبينها ، وقطع أسبابه عن أسبابها ، فلم يعد له منها سوى الذكرى الممضه ، واللوعة المقضه ، والحزن الحار .

وكان عليه أن يعلم أن عمر لم يقصد إلى حاجة ابنته بمقدار ما قصد إليه هو من العزاء والسلوى ، والمجاملة والتصبر .

ومثل الفاروق بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو له مُرّ الشكوى ما لاقاه من عثمان .

وجاء عثمان — كذلك — يشكو عمر ، وجعل الرسول يقلّب القضية على وجوهها ، وينظر إلى الخصمين فى معنى من الاشفاق والعطف ، قائلا لكل واحد منهما إن المسألة أقل مما يخلع كلاكما عليها من الأشكال والألوان ، ولما ذهب ما بهما من حدة الغضب ، وثورة الألم .

قال ياعثمان ليست زوجتك أول حى يموت . والناس كلهم للفناء . لأنهم بدؤا من التراب ولابد أن يعودوا إليه .

فلا تذهل هذا الذهول وتنسى ما يجب عليك لله والناس .

وهنالك اختنقت العبرة عثمان وقال له بصوت منقطع : والله يارسول الله ما فعلت ما فعلت إلا لخوفى أن تزول وشيجتى بك ، وآصرتى منك .

وحينئذ ساد الصمت المجلس كله ، وانطلق صوت القاضى يقول يا عمر سيزوج الله ابنتك خيراً من عثمان وسيزوج عثمان خيراً من ابنتك .

وانصرف الرجلان تبدو نواجذهما من الرضا والارتياح . والسرور والبشر .

ثم تكشفت الأيام فيما بعد عن زواج النبى بحفصة . وزواج عثمان بأم كلثوم

مكتبتنا العربية

مدرسة فيثاغورس

للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد

اشتهرت المدرسة الفيثاغورية فى التاريخ شهرة واسعة ، ولو أن معلوماتنا عنها يسيرة ، لأن كل ما يتعلق بفيثاغورس وحياته يكتنفه الغموض ، ويضيف إليه المتأخرون كثيراً من المبالغات ، التى تخرج عن حد التأريخ الصحيح الذى يرتفع إلى مرتبة اليقين .

وهى أول مدرسة فلسفية فى اليونان ، لأن المدرسة الملطية التى قامت فى ملطية من أعمال آسيا الصغرى ، والتى بدأت بطاليس ثم بأنكسمندر ، ثم بأنكسمانس ، لم تكن مدرسة بمعنى الكلمة ، لها مكان خاص ، وفيها تلاميذ متعددون . كل ما فى الأمر أن أنكسمندر ، صاحب ، طاليس ، وكذلك أنكسمانس ، صاحب ، أنكسمندر ، عنه أخذ العلم والفلسفة ، وإنما نقول إنه كان تلميذه تجوزا .

أما مدرسة فيثاغورس التى أنشأها فى كريتون ، فهى مدرسة على الحقيقة : إذ تضم بين جدرانها مئات من الطلاب ، اجتذبتهم شخصيته القوية ، وتعاليمه المنوعة ، واستعداده لاستقبال النساء والرجال على حد سواء . وبذلك وضع فيثاغورس ، قبل أفلاطون بقرنين من الزمان ، مبدأ شيوعية النساء ؛ ولم يعلن ذلك نظراً ، بل عملا . ومع ذلك فإنه كان يميز بين الجنسين تبعا للاختلاف الطبيعى بينهما . فكان يعلم المرأة الفلسفة والآداب ، كما كان يعلمها تدبير المنزل والأمومة ، حتى لقد اشتهرت المرأة الفيثاغورية فى الزمن القديم بأنها أفضل نساء الإغريق .

ولقد تأسست مدارس فلسفية فيما بعد ، مثل أكاديمية أفلاطون ، ومدرسة المشائين لأرسطو ، ومع ذلك لم نسمع أنها كانت تتسع لهذا العدد الكبير من الطلاب ، أو كانت تضم الذكور والإناث . اللهم إلا مدرسة أفلوطين التى أنشأها فى روما ، فقد ذكر المؤرخون أسماء بعض النساء ممن كن يحضرن دروس الأستاذ .

مكتبتنا العربية

ووضع فيثاغورس قواعد للطلبة تجعل من المدرسة كأنها دير أو معبد : فهم يقسمون يمين الولاء للأستاذ ، وكانوا يقتسمون كل شيء فى أثناء الطلب ، ويمتنعون عن أكل اللحم والبيض والفول . ولم يكن الخمر ممنوعاً ، ولكن المندوب شرب الماء القراح . وكان محرما على الطالب أن يقتل الحيوانات التى لا تؤذى الإنسان ، أو أن يقطع شجرة نامية . وكانوا يلبسون ملابس بسيطة ، ومما يؤثر أنهم كانوا يلبسون البياض ، ويتصفون بالتواضع ، ويعتدلون فى مظهرهم ، فلا يكثرون من الضحك أو يظهرون بمظهر العبوس . ولا يحلفون بالآلهة « لأن واجب المرء أن يكون صادقا بغير قسم » . وفى آخر كل يوم ، كانوا يحاسبون أنفسهم . فيسألونها ما الشر الذى ارتكبه الواحد منهم ، وما الواجب الذى أهمله ، وما الحسن الذى قام به .

وكانت سيرة فيثاغورس هى القدوة للتلاميذ ، فكان يطبق هذه المبادئ على نفسه بغاية الدقة ، حتى ذاعت سيرته فى الناس ، وأقبل عليه الطلاب أفواجا بدافع من الحب والإجلال . ويروى أنه لم يشرب خمراً فى النهار ، وكان يعيش على الخبز والعسل والخضر ، وكان لباسه أبيض نظيفاً ، ولم يسرف أبداً فى تناول الطعام ، ولم يكثر من الضحك أو الإشارة أو الثرثرة . ولم يعاقب أحداً حتى لو كان من طبقة العبيد .

ويروى أنه لم يتزوج قط . على أن بعض الروايات التاريخية تحدثنا أنه صاهر أحد تلاميذه ، وهو « بروتينوس » Brotinus ، فيقال إنه تزوج ابنته « ثيانو » Theano . وتحدثنا بعض الروايات الأخرى أن ثيانو كانت زوجة بروتينوس ، وأنهما معاً كانا من تلامذة فيثاغورس ، وتحدثنا رواية ثالثة أن زوجة بروتينوس هى « دينونو » Deinono ، وكانت امرأة موهوبة مفرطة فى الذكاء ، ومن جملة تلاميذ المدرسة . وقيل إن دينونو هى ابنة فيثاغورس .

ويشترط فيمن يرغب الالتحاق بمدرسة فيثاغورس ، أو فرقته عدة شروط ، منها طهارة البدن وذلك بالامتناع عن أكل اللحم ، وطهارة النفس وتصفيتها بدرس العلم . وكان التلميذ مطالباً « بالصمت » خمس سنين ، وأن يتعود الطاعة فيقبل التعاليم بدون أسئلة أو جدال ، ثم يصبح له بعد ذلك الحق فى عضوية الجماعة . وأن يتلقى

مكتبتنا العربية

تعلم على فيثاغورس شخصياً . وكان الفريق الأول يتكون من [illegible] من التلاميذ أو الأتباع .

وكان التلاميذ على ضربين : مريدون Mathematikoi ، ومستمعون Akonsmatikoi . أما المريدون ، فعددهم قليل ، وهم خاصة الفرقة الذين يعرفون أسرار تعاليم فيثاغورس . على حين أن المستمعين ، وهم أغلب الجماعة ، فكانوا حلقة واسعة لا يسمح لهم إلا باستماع التشور من التعاليم بغير تفسير دقيق .

والمنهج نوعان : علمي وديني . أما العلمي فيتكون من أربعة مواد هي : الحساب والهندسة والفلك والموسيقى . أما الديني فيتعلق بعقيدة فيثاغورس في التناسخ .

ومن المبادىء المفروضة على الأتباع الاحتفاظ بسرية التعاليم ، وكان عقاب من يفشي الأسرار هو الطرد ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن هذه السرية كانت متبعة بدقة إلى حد أننا لم نعرف شيئاً عن أسرارهم إلا في عصر أفلاطون . عند ما كتب « فيلولاوس » وهم من الفيثاغوريين ، تحت سلطان الحاجة إلى المال ، كتابا في ثلاثة مجلدات . اشتراه منه « ديون » حاكم سراقوسة ، حسب طلب أفلاطون ، ويذهب آخرون إلى أن العلم بالنظريات الهندسية تسرب في حياة فيثاغورس نفسه بخيانة بعض الأعضاء أو بسبب آخر ، ويروى أن « إيباسوس » Hippasos ، وهو من تلاميذ فيثاغورس ، عوقب بالطرد لخيانة من هذا القبيل ، ولأنه أفشى طقوسهم بغرض الإساءة اليهم .

وكما كان فيثاغورس شديداً في نظامه الخاص بتعاليم المدرسة ، كان كذلك شديداً في القبول بها . حتى لقد رفض التحاق « سيلون » Cylon ، وهو نبيل غني لسوء أخلاقه ، فأسرها سيلون في نفسه ، وحارب فيثاغورس حتى قضى عليه في كروتون .

كانت طريقة التعليم سماعية . بالتلقين والرواية ، وكان التلاميذ يرجعون دائماً إلى العبارات التي ينطق بها ويحفظونها ، ومع ذلك فنحن لا نجد بين أيدينا شيئاً من هذه العبارات .

ومع ذلك يروى أنه ألف ودون ، ويذكرون له عبارة وردت في بعض كتبه

مكتبتنا العربية

هذا نصها « أقسم بالهواء الذى أتنفسه ، وبالماء الذى أشربه ، أنى لن أعدل عن هذا المذهب » . ويروى كذلك أن فيثاغورس كتب كتباً عزاها إلى « أورفيوس » وهذا دليل على أن بعض الكتابات الأورنية من عمل فيثاغورس .

أما الذين يذهبون إلى أن فيثاغورس لم يدون كتبا ، فيقولون إن ما ظهر من كتب تتعلق بمذهبه ، فهى من قلم بعض أتباعه ، مثل ايباسوس . وليسيس Lysis وأستون Aston .

وتفرعت عن المدرسة بعد موت صاحبها فرقتان ، فرقة أخذت بالجانب العلمى والرياضى ، وأخرى عنيت بالمذهب الدينى ، ويرجع ذلك إلى الميل الطبيعى لا إلى تمييز فيثاغورس .

وسوف نتحدث فيما بعد عن هذين الجانبين للمدرسة ، نعنى الرياضة والدين

التنزيه الخالص

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قال الله تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم) .

وقال على كرم الله وجهه ورضى عنه : (كل ما يتصور فى الأوهام فالله بخلافه) .

وقال الشافعى رضى الله عنه : (من انتهض لطلب مدبّره فان اطمأن إلى موجود ينتهى اليه فكره فهو مشبه : وإن اطمأن إلى نفى محض ، فهو معطل ؛ وإن اطمأن إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحّد) .

مكتبتنا العربية

الأدب العربى

فى عهد الأمويين

الأستاذ الشيخ عبد الحميد محمود المصلوت

الأستاذ بكلية اللغة العربية

— ٢ —

تولى معاوية بن أبى سفيان أمور المسلمين والأمة طوائف متعادية وفرق متنابذة وجماعات متنافرة متشاكسة . ولكنه لم يترك سبيلا لتوطيد عرشه وتأييد ملكه إلا سلكها . فأحيانا تكون وسيلته إلى ذلك المال . فهو يسخو فى بذله ويخف لمنحه حين يكون المنح والإعطاء مدعاة إلى تأليف القلوب وتسكين الأحقاد . وقد جعل عطاء الحسن والحسين ألف ألف درهم بعد أن كان خمسة آلاف أيام عمر بن الخطاب كما أغدق هو وخلفاؤه على أبناء الأنصار والمهاجرين ليشغلهم بالدنيا ومتاعها والحياة ولهوها ومفاتنها عن المطالبة بالخلافة حتى صار الحجاز مباءة الترف والفساد وانتشر فيه الفناء وشغل الكثير ممن ضعف وقارهم وخفت موازين الدين فى أنفسهم بما دفع إليه الترف من إقبال على اللذات وإيثار للشهوات يقول السعودى فى مروج الذهب (كان معاوية يجلس فى مجلسه ويقول : إرفعوا إلينا حوائج من لا يصل إلينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان . فيقول افرضوا لولده ويقول آخر : غاب فلان عن أهله فيقول تعاهدوهم . أعطوهم . اقضوا حوائجهم . أخدموهم .

وعمد معاوية إلى الشعراء فقربهم وأثار شاعريتهم ودفعهم إلى الإحسان والتجويد دفعا بما أفسح لهم فى قلبه ومنحهم من سمعه وخلع عليهم من عطايا وأغدق من هبات ومنح حتى جعل لهم نصيباً فى بيت المال . وكذلك اتبع خلفاؤه من بنى أمية سنته وآثروا طريقته ليشتروا ألسنتهم ويرضوا رغائبهم بما تفيض به قرائحهم من جيد المدح ورائع القول ومتخير القصائد .

مكتبتنا العربية

فهذا عامل أثار عواطف الشعراء وجعل للأدب سوقا رائجة وبضاعة نافقة وجعل الحياة تزخر بهذا التراث العبقرى الخالد الذى نطالعه فلا ينتهى إعجابنا ولا يتضاءل تقديرنا وإكبارنا . ولقد ظل الشعراء يأخذون عطاياهم من بيت المال حتى أبطل ذلك الخليفة الصالح الورع عمر بن عبد العزيز فى عهده ثم لم تلبث هذه الحال أن عادت بعد موته إلى ما كانت عليه . ومما يؤثر عنه أن الشعراء وقفوا ببابه بعد توليه الخلافة حتى طال بهم الوقوف . فكلمه عدى بن أرطاة وكان أثيراً عنده فقال له إن الشعراء ببابك وأقوالهم باقية وأسنتهم مسنونة . فقال يا عدى مالى وللشعراء . قال يا أمير المؤمنين إن النبى صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى وفيه أسوة لكل مسلم . فسأله عمن بالباب من الشعراء فجعل عدى كلما ذكر له شاعراً عد عليه من قوله ما يفسقه به أو يكفره ولم يأذن إلا لجرير فلما مثل بين يديه قال له : اتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقاً فأنشأ يقول :

كم بالیمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر
ممن يعدك تكفى فقد والده ... كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به ... خبلا من الجن أو مسا من البشر
خليفة الله ماذا تأمرن بنا ... لسنا إليكم ولا فى دار مُنتَظَرِ[1]
ما زلت بعدك فى هم يؤرقنى ... قد طال فى الحى إصعادى ومنحدرى
ما ينفع الحاضر المجهودُ بادينا ... ولا يعود لنا باد على حَضِرِ[2]
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
أتى الخلافة إذ كانت له قدرا ... كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

فقال يا جرير والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلاثمائة فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله . يا غلام أعطه المائة الباقية فقال يا أمير المؤمنين أنها لأحب مال كسبته إلى ثم خرج وهو يقول خرجت من عند أمير المؤمنين يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وإنى عنه لراض ثم أنشأ يقول .

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه ... وقد كان شيطانى من الجن راقيا

---

(١) لسنا إليكم : أى لسنا واصلين . ومنتظر أى انتظار . (٢) الحضر ضد البادى .

مكتبتنا العربية

وكان من سياسة الخلفاء الأمويين إغراء الشعراء ببعضهم ودفعهم إلى التهاجى ليُشغل الناس بمهاتراتهم وأهاجيهم عن الشغب عليهم وتتبع أخطائهم كما كانوا يغضون عن زلاتهم ويتغافلون عن هفواتهم ويحلمون إزاء سيئاتهم حتى يستلئوا من نفوسهم النقمة وينتزعوا منها الحقد والغضب .

يروى صاحب الأغانى (١) أن عبد الرحمن بن حسان شبب بأخت معاوية فغضب يزيد ودخل على معاوية فقال يا أمير المؤمنين أقتل عبد الرحمن بن حسان قال ولم قال إنه شبب بعمتى قال وماذا قال : قال إنه يقول :

طال ليلى وبت كالمحزون ومللت الواء فى جيرون

فقال معاوية وما علينا من طول ليله وحزنه أبعده الله قال إنه يقول :

فلذاك اغتربت بالشام حتى ظن أهلى مرجمات الظنون

قال يا بنى وما علينا من ظن أهله قال إنه يقول :

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغو اص ميزت من جوهر مكنون

قال صدق يا بنى . إنها لكذلك قال إنه يقول :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضرا ء تمشى فى مرمر مسنون

قال لقد كذب فى هذا يا بنى . ثم استنشده القصيدة فأنشده . فقال يا بنى ليس يجب القتل فى هذا والعقوبة دون القتل . ولكنا نكفه بالصلة والتجاوز وقيل إن هذا الغزل كان فى بنت معاوية وإن عبد الرحمن قد استمر يشبب بها ومن ذلك قوله .

رمل هل تذكرين يوم غزال إذ قطعنا مسيرنا بالتمنى

إذ تقولين عمرك الله هل شىء وإن جل سوف يسليك عنى

وكلما ألح يزيد على أبيه بقتله قال له ليست العقوبة من أحد أقبح منها من ذوى القدرة . ولما قدم عبد الرحمن على معاوية وكان يدخل فى أخريات الناس أجلسه على سريره وأقبل عليه يوجهه وحديثه ثم قال له : إن ابنتى الأخرى عاتبة عليك . قال فى أى شىء قال لأنك مدحت أختها وتركتها . قال فلها العتبى أنا ذاكرها . فلما فعل علم الناس أنه كاذب فى غزله ببنت معاوية لأنه ليست له إلا بنت واحدة .

(١) ج ١٣ ص ١٤٩ .

مكتبتنا العربية

وكذلك كان من أساليب الخلفاء أن يشغلوا الناس عن خلافتهم ويصرفوهم عن ملكهم بإثارة العصبيات وبعث الحزازات وذكر الخصومات الجاهلية التى أماتها الإسلام وقضى عليها فاستحيت بينهم المفاخرات وقويت المنافسات الحاقدة وانقسم المسلمون إلى أحزاب وشيع . وطوائف وفرق . وعناصر متحفزة ثائرة . كل عنصر يناصب أخاه العداء ويضمر له البغض والكراهية ويخلق له من المثالب والنقائص ما يثير حفيظته ويهيج ضغنه . ظهرت فيهم اليمنية والمضرية . وكانت المضرية تؤيد معاوية وتسنده . وقد استطاع أن يستند كذلك على اليمنية إذ كان متزوجا ميسون بنت بحدل أم يزيد وهى من قبيلة كلب من اليمنية .

وقد لعبت هذه العصبيات دورها فى التمكين لهذه الدولة وتقوية أسباب بقائها . على أنها من ناحية أخرى كانت من أسباب سقوطها وزوال حكمها . فقد عمدت اليمنية جاهدة فيما بعد لانتصار العباسيين والتمكين لقيام دولتهم .

ولعل من أوضح الأمثلة على اضطرام العصبيات وإثارة الحزازات ما يرويه المبرد [١] من أن يزيد بن معاوية لما غضب على الأنصار حاول أن يدفع كعب ابن جعيل التغلبى إلى هجائهم . فقال له كعب أأهجو الأنصار أرادى أنت إلى الكفر بعد الإسلام ولكن أدلك على غلام من الحى كأن لسانه لسان ثور (يعنى الأخطل) فأغرى يزيد الأخطل بهم فقال يهجوهم :

لعن الإله من اليهود عصابة ... بالجزع بين صليصل وصرار [٢]
قوم إذا هدر العصير رأيتهم ... حمرا عيونهم من المسطار [٣]
خلو المكارم لستم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بنى النجار [٤]
ذهبت قريش بالمكارم كلها ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

ولما سمع النعمان بن بشير الأنصارى هذا الهجاء دخل على معاوية فحسر عمامته

---

(١) رغبة الآمال ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٢) صليصل . موضع على سبعة أميال من المدينة . وصرار بكسر الصاد موضع على ثلاثة أميال .

مكتبتنا العربية

عن رأسه . ثم قال يا معاوية أترى لؤما ، فقال ما أرى إلا كرماً . فقال النعمان يتهدده ويتوعده :

معادى إلا تعطنا الحق تعترف لحى الأزد مسدولا عليها العمائم [١]
أيشتمنا عبد الأراقم ضلة فما الذى تجدى عليك الأراقم [٢]
فما لى ثأر دون قطع لسانه قدوتك من ترضيه عنك الدراهم

فلما سمع معاوية هذه القصيدة أمر بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه . فاستجار بيزيد فمنعه وأرضى النعمان حتى كف عنه .

وكان بنو أمية لشدة حرصهم على ملكهم . ورغبتهم فى رفع الخطر ورد عدوان الطامعين لا يترددون فى القضاء على منافسيهم . وتشريد من تحدثه نفسه بالوثوب على ملكهم . حاربوا الخوارج ، وقعدوا لهم كل مرصد . وتعقبوهم فى كل مكان ونكلوا بمن وقع منهم فى قبضة أيديهم أشد تنكيل ، وتتبعوا العلويين فسفكوا دماءهم ، ومثلوا بهم فى عنف . كما كان حكامهم وولاتهم يزدلفون إليهم بالقضاء على الخوارج وقتلهم وتشريدهم . كانوا كذلك يتقربون إليهم بالعدوان الغاشم على العلويين .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ولقد رثى شعراء الخوارج والعلويين قتلاهم . وصوروا فى قصائدهم وأشعارهم مما حل بهم من ظلم ، وما لاقوا من عسف ، واستطاعوا بما صدر عنهم من قول رائع مؤثر أن يكتسبوا قلوب الناس ، وأن يبعثوا فيها السخط والضغينة على هؤلاء الظالمين .

على أن الحق أن معاوية كان يسع بحلمه وصفحه من يجهل عليه بلفظ أو يخاشنه فى قول ، وهو الذى كان يقول : لو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت . قيل له : وكيف ذلك فقال إن هم شدوا أرخيت ، وإن أرخوا شددت . وإن لم تكن إلا كلمة يشتفى بها قائلها لجعلتها دبر أذنى وتحت قدمى . ويقول فى إحدى مقالاته (إنى كنت أخطب فيكم فيقوم إلى القائم منكم فيكذبنى على رءوس الناس

---

[١] تعترف : تصبر . لحى الأزد : أى لشيوخ الأزد .

[٢] الأراقم : حى من تغلب منهم الأخطل وجعله عيبدهم تحقيراً له .

مكتبتنا العربية

فأحمل ذلك وأصفح . وبمثل هذه المعاملة اللينة استقر الأمر لبنى أمية ، وتوطدت أركان ملكهم ورست دعائم حكمهم . على أن هذه الدولة كانت كما يقول الجاحظ عربية أعرابية يحرص خلفاؤها على الصبغة العربية فى منطقهم . وفى مظاهر حياتهم فحافظوا على الأساليب الرفيعة . وبعثوا بأبنائهم إلى البادية رغبة فى تقويم ألسنتهم وتصحيح سلائقهم وخطرهم . وتعهدوهم برواة الشعر وحفظته . ولقنوهم غرائب القصائد ، واستقدموا لهم المربين والمؤدبين حتى نفقت سوق الأدب ، وراجت بضاعته ، وأصبح الخلفاء مقصد الشعراء . ومثابة الرواة من كل فج . بل إن الخلفاء أنفسهم كانوا يجمعون الشعراء فى مجالسهم ، ويستنشدونهم وينقدونهم ، ويسألون بعضهم رأيهم فى معانى الآخرين ، ويعقبون على هذه الآراء بالموافقة أو المراجعة . ومجالس عبد الملك بن مروان وتقريبه للشعراء ، وكثرة سؤاله من أشعر الناس ، ومن أغزل الناس ، أو أمدح الناس ، وأى بيت أهجى أو أفخر أو أغزل ، مشهورة معروفة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قال شيخ لابنه يشكو عقوقه

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً ... تعل[1] بما أجنى[2] عليك وتنهل[3]

إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ... لسقمك إلا ساهراً أتململ

كأنى أنا المطروق دونك بالذى ... طرقت به دونى فعينى تهمل

تخاف الردى نفسى عليك وإنها ... لتعلم أن الموت وقت مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التى ... إليها مدى ما كنت فيها أؤمل

جعلت جزائى غلظةً وفظاظةً ... كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترعَ حقَّ أبوتى ... فعلت كما الجار المجاور يفعل

مكتبتنا العربية

لغويات

لفضيلة الأستاذ محمد على النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

السَّبحة ، التسابيح ، المِسْبَحة ..

تستحبّ الشريعة الإسلاميّة للمؤمن فى بعض المواطن عددا من التسبيح ، والتحميد ، والتكبير . وتطلب أيضا من المؤمن عددا من الذكرياتى به رغبة فى الثواب والعلى من الدرجات .

ففى صحيحى البخارى ومسلم من حديث طويل : « تسبّحون وتحمّدون وتكبّرون خلف كل صلاة ، ثلاثا وثلاثين » وفى صحيح مسلم : « من سبح الله دُبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . غفرت له خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر » وفى صحيح مسلم أيضا : « من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة . غفرت له ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر » .

وقد كان المسلمون فى مبدأ الأمر يستعينون على عد هذه الأذكار بعقد الأصابع ، وما يزال هذا مألوفا عند كثير من الناس . وهو أدنى إلى يسر الدين ، وأنأى عن مظاهر الرياء .

ولقد روى أبو داود والترمذى والنسائى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيده . وروى أبو داود أيضا عن بسيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أمرهن أن يراعين بالتكبير والتقديس والتسبيح والتهليل ، وأن يعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات . وظاهر أن الأمر ليس مقصورا على التسبيح وحده ، بل يراد التسبيح وقريناه التحميد ،

مكتبتنا العربية

والتكبير . وإنما اقتصر على التسبيح لأنه المبدوء به فى أكثر الروايات . ويقول ابن حجر فى فتح [1] البارى : « وقع فى أكثر الأحاديث تقديم التسبيح على التحميد وتأخير التكبير . وفى رواية ابن عجلان تقديم التكبير على التحميد خاصة . . . وهذا الاختلاف دال على أن لا ترتيب فيها . فقد صار التسبيح فى هذه المواطن يعنى به الأذكار الثلاثة ، بل يعنى به غير ذلك من أنواع الذكر ؛ قال فى النهاية : « وقد يطلق التسبيح على غيره من أنواع الذكر مجازا ؛ كالتحميد والتمجيد وغيرهما » .

وقـــد كان بعضهم يستعين فى العد بالنوى ، وبعضهم بالحصى . روى الترمذى والنسائى عن صفية قالت : دخل على رسول الله صـــلى الله عليه وسلم وبين يدى أربعة آلاف نواة أسبح بهن . وروى أبو داود الترمذى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه دخل مع النبى صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوًى أو حصى تسبح به . وفى طبقات ابن سعد أن سعد بن وقاص كان يسبح بالحصى . وفى طبقات ابن سعد أيضا عن أبى هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة ، فلا ينام حتى يسبح بها .

وهذا هو الأصل فى اتخاذ السبحة . وقد استبدل بالعقد الخرزات تنظم فى خيط ويعد بها .

وجاء فى الأخبار تسمية الأداة التى يعد بها الذكر تسابيح وسبحة . وفى مسند الفردوس للديلمى عن على مرفوعا : نعم المذكر السبحة . وفى ابن أبى شيبة عن زادان قال : أخذت من أم يعقور تسابيح لها ، فلما أتيت عليا قال : اردد على أم يعقور تسابيحها .

وترى أنهم جعلوا لها اسمين من التسبيح : إذ كان التسبيح أول الأذكار وأظهرها فقالوا تسابيح وسبحة .

وظاهر الأمر أن الآلة تسمى تسابيح بصيغة الجمع ؛ إذ كانت كل نواة أو خرزة أو عقدة تسبيحة أى تعد بها التسبيحة بمعناها العام ، فهى عدة تسبيحات . ويرى الشهاب الخفاجى أن الآلة تسمى التسبيح وتجمع على التسابيح . وهو يقول فى

---

(١) [illegible]

مكتبتنا العربية

شفاء الغليل فى حرف التاء : « تسبيح مصدر سبح بمعنى قال : سبحان الله ، وبمعنى المسبحة — ويقال لها السبحة — » وهو يستشهد بقول أبى نواس :

التسابيح فى ذراعى والمصـ ـحف فى لبتى مكان القلادة

والمألوف أن يحمل المتعبد سبحة واحدة لا سبحات ، وكذلك ما جاء فى خبر أم يعقور السابق ، فالظاهر أنه أخذ منها سبحة واحدة . وسيمر بك كلام فى بيت أبى نواس .

والسبحة صيغت من التسبيح ، كالسخرة من التسخير ، فأصلها التسبيح ثم سمى بها الآلة التى يعد بها التسبيح . وقد درجت المعاجم على إثبات هذه الكلمة والتعريف بها ، وأهملت الكلمة الأخرى « التسابيح » ، وإنما أثبتها الخفاجى كما رأيت .

وهاك نصوص المعاجم فى السبحة :

فى اللسان : « والسبحة : الخرزات التى يعد المسبح بها تسبيحه » . وفى القاموس وشرحه : « (والسبحة) بالضم (خرزات) ينظمن فى خيط (للتسبيح تعد) » وفى المصباح : « والسبحة : خرزات منظومة » . وكأن إهمال المعاجم للتسابيح لأن هذا استعمال مجازى ، يتوقف على القرينة التى تصرف عن المعنى الحقيقى ، ولم يشتهر هذا المعنى فى الكلمة حتى يكون من معانيها .

وترى السبحة كثيرا فى مجارى الاستعمال . وقد أورد السيوطى فى رسالته « المنحة فى السبحة » حديثا مسلسلا بالسبحة ، ينتهى بالحسن البصرى ويقول عمر المالكى الذى أخذ عنه : كذلك رأيت أستاذى الحسن البصرى يحدث ومعه سبحة ، فقلت يا أستاذ ، مع عظم شأنك وحسن عبادتك وأنت الآن مع السبحة ؟ فقال : شىء كنا استعملناه فى البدايات ما كنا نتركه فى النهايات ، وفى مطالع البدور (١٣٩/٢) : « وأخذ يوسف بن تاشفين من عبيد بن المكين الصنهاجى — وكان ملك إفريقية — لما قبض عليه سبحة فيها أربعمائة حبة جوهر ، كل حبة قومت بمائة دينار » .

وتطلق السبحة أيضا على صلاة التطوع ، وذلك أن الصلاة تشتمل على التسبيح . وهذا أيضا مجاز . فكأن السبحة تطلق على الآلة التى يعد بها التسبيح مجازا من

مكتبتنا العربية

إطلاق الشيء على سببه . وعلى الصلاة مجازا أيضا من إطلاق الجزء على الكل ، وكلاهما مجاز مرسل . ويقول ابن الأثير فى النهاية : « ويقال للذكر ولصلاة النافلة سبحة ؛ يقال قضيت سبحتى . والسبحة من التسبيح كالسخرة من التسخير . وإنما خصت النافلة بالسبحة وإن شاركتها الفريضة لأنها نافلة كالتسبيحات والأذكار فى أنها غير واجبة » .

وإذا صح ما أسلفت من الأخبار التى فيها ذكر التسابيح والسبحة وأنهما يرجعان الى الصدر الأول ، وإلى عصر على رضى الله عنه كانت هاتان الكلمتان عربيتين ، إذ صيغتا فى عصر الاحتجاج قبل فساد اللسان . ولا يغض من عربيتهما أنهما لم تعرفا فى الجاهلية : فيحسب الكلمة وثوقا بها أن تقع ممن يوثق بعربيتهم وممن لم يتسرب اللحن إليهم ، ويمتد هذا دهرا بعد الإسلام . وقال فى المصباح : « قال الفارابى — وتبعه الجوهرى — : السبحة : التى يسبح بها ، وهو يقتضى كونها عربية » . وفى الحق أن هذا هو ما ينبغى التعويل عليه ، والركون إليه .

وقد وقع من الأزهرى أن قضى بأن السبحة مولدة . ففى المصباح : « وقال الأزهرى : هى كلمة مولدة » وفى التاج : « وهى كلمة مولدة ، قاله الأزهرى » . وأكبر الظن أن الأزهرى يريد بتوليد السبحة أنها حدثت فى الإسلام ولم تعرف فى الجاهلية ؛ إذ كانت مقرونة بعبادة حادثة فى الإسلام ، ولا يريد بذلك ما اصطلح عليه المتأخرون . فعندهم أن المولد : « ما أحدثه [1] المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم » وعلى هذا فمن الإسراف فى القول ما نقله صاحب التاج عن شيخه فى السبحة : « وقال شيخنا . ليست من اللغة فى شيء ، ولا تعرفها العرب . وإنما حدثت فى الصدر الأول إعانة على الذكر وتذكيرا وتنشيطا » . وقوله « لا تعرفها العرب » إن أراد عرب الجاهلية فصحيح ، ولكن هل كل ما لم يكن جاهليا منكر فى اللغة ورد على قائله وخلف من القول ! وإذا عرفت السبحة فى الصدر الأول فهل يقال : إنها ليست من اللغة فى شيء ! ونرى نصا معزوا للكتاب « الدرر المنتخبات المنثورة فى الأغلاط المشهورة » على ما أثبت فى هامش التاج ولم يتيسر لى الإطلاع على هذا

مكتبتنا العربية

الكتاب ، وهاك النص : « والسبحة مولدة . وإطلاق التسبيح عليها غلط » . وهذا أيضا مما لا يستحق أن يعاج عليه .

ويقول الشهاب فى التسابيح إنه أيضا مولد . وتارة يقول : إنه عامى . وقد عرض لهذا فى موضعين من كتابه « شفاء الغليل » : فى حرفى التاء والسين . وتبعه الشيخ مصطفى المدنى فى كتابه فى المعربات . وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية ، وقد كان الشيخ مصطفى المدنى من تلاميذ البغدادى صاحب الخزانة . ويجعل الشهاب اسم الآلة التسبيح لا التسابيح ، فإن التسابيح عنده الجمع ، فالتسبيح عنده يرادف السبحة . وهو يقول فى حـــرف السين : « والمسبحة : ما يسبح به . والعامة تقول له تسبيح » . وقد علمت مما سلف لك فى حديث زادان وأم يعفور ذكر التسابيح على أنه اسم الآلة مفرد ، وأن ذلك كان فى زمن على رضى الله عنه ، فهو عربى صحيح .

وبعد هذا اعرض لحديث « المسبحة » . فقد درج الناس على استعمالها فى عصرنا وتراها فى الصحف والمجلات ، ولا تكاد غيرها . وقد أنكرها بعض الباحثين ، ونفاها من عداد المفردات العربية . وكانت الحجة فى هذا أنا لا نراها فى المعاجم ؛ فقد أغفلتها ؛ كما أسلفت آنفا .

والبحث فى « المسبحة » يعود إلى مسألتين :

الأولى : ما أوليتها ، وما تاريخ نشوئها ؟

والثانية : ما ضبطها ، وما شأنها فى القبول والإنكار ؟

فأما أوليتها فليس لدينا عليها سند قويم . وفى ديوان أبى نواس من أبيات يخاطب فيها الفضل بن الربيع .

أنت يا ابن الربيع ألزمتنى الذ ـــــسك وعودتنيه والخير عادة
فارعوى باطلى وأقصر جهلى وتبدلت عفة وزهاده
لو ترانى ذكرت بى الحسن البصـــــرى فى حسن سمعته أوقتاده
المسابيح فى ذراعى والمصـــــحف فى لبّتى مكان القلادة

« يتبع »

مكتبتنا العربية

الاتحاد خلق اجتماعى . ومجد وطنى

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد ابراهيم الحفناوى
وكيل معهد سمنود الدينى

إن نور الله يتجلى على الناس ديناً سمحاً . وتشريعاً كريماً . يضع للناس هداية مشرقة . وطريقاً مستقيما . ولهذا الدين استقصاء فى وضع أصول الخير الجامعة . التى تضمن للبشر حياة سعيدة وادعة . وفيما شرع الله ضمان أكيد لبناية المجتمع الفاضل الرشيد . فكل أمر من أوامر الله يشيد كمالا . وكل نهى من نواهيه يدفع اختلالا . وما الدين فى كل أطواره إلا مجموعة من الأخلاق الفاضلة السامية . ترسم للناس الحياة المثالية العالية .

وإذا نظرنا إلى الأخلاق . وجدنا إصلاحها أساس النهوض الأول . وفيها الرجاء . وعليها المعول . وكل رقى مفقر من الأخلاق . رقى زائف لابد أن ينهار . ويكون مآله حتما إلى الهدم والدمار . . .

وللأخلاق مظاهر فردية تقوم الفرد وتصقله . وتجمل صفاته وتكمله . وتغرس فيه المحامد والسمو . وتحبب اليه الترقى والعلو . وبذلك يكون فرداً صالحاً يرتبط بأفراد صالحين . . يكونون مجتمعا موفق الدنيا . سعيد الدين .

وحينئذ يبدو للأخلاق مجال آخر قوى . يتمثل فى الخلق الاجتماعى . الذى يربط المجتمع برباط من الصفاء الساطع . وينظم علاقات الناس على أساس من الحب الجامع . والخلق الاجتماعى فى كل صوره وألوانه يهدف إلى وحدة المجتمع وتماسك بنيانه . . . حتى يصبح كالجسد الواحد . الذى يجرى فيه روح واحد . ويسعى إلى هدف واحد . . .

لهذا كان جماع هذا الخلق ما يتمثل فى الاتحاد والتآزر . وما يتجلى فى التكاتف والتضافر . وحسبنا حثا على الاتحاد أن يجعله الله فى دينه أصلا رفيعاً . حيث يقول فى كتابه (واعتصموا بحبل الله جميعاً) ويكفى الناس به بركة فيما يعتزمون . وتوفيقاً فيما يقصدون . أن يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم « يد الله مع الجماعة » .

وما أكرم يد الله . وما أقواها حين يلتمسها الناس لاتحادهم . وحين يستعينون

مكتبتنا العربية

بها على مرادهم . إنها القوة التى تتضاءل أمامها قوى البشر . وإذا أعانت أهلها فلا تبقى على خصمهم ولا تزر ، . . ويد الله هذه . عدد الضعيف وعُدده . وينبوع معنويته ومدده . .

فإذا تآلفت القلوب واتحدت . وألقت ما فيها من أسباب الخلاف وتخلت . فهذا بشير النصر . والتمهيد الموفق لنجح الأمر . . .

وإنا لنمس يد الله تبارك حركة التحرير فى مصر . ونؤيد موقف الحزم الذى أعلنه أولو الأمر . فقد اجتمعت الأمة على كلمة الحق . التى تحطم أغلال العبودية وقيود الرق . وقد استقبلت الأمة غضب رجالها على غريمها . استقبالا يسيل نبالة ويقطر بسالة . ويجلى مجد أمة كريمة . ويعلن صيحة وطنية صميمة يعبر عنها روح ثائر ودم فائر . وأصبح الوادى كله نشيداً واحداً مدويا بالثبور والويل . على الغاصب المستمسك بأساليب الحمق والجهل . وهكذا يتكتل الوادى كله . لينال من التحرير ما هو أهله . وكأن الله قد أراد لهذا المستعمر نهاية أليمة . تناسب ما جرعه للعالم من سياسة خسيسة لئيمة . . . فكل شر فى العالم من صنعهم . وكل خداع وتدليس لا يصدر إلا عن طبعهم . والويل لهم وقد تحركت مصر . لتخلص العالم كله من هذا الشر . فمصر كنانة الله . من أرادها بسوء قصمه الله . . وإن هذا الاجماع الرائع ليملؤنا أملا . ويجعلنا بعون الله للنصر أهلا . . .

لقد تجلى مظهر الاتحاد فى مصر جباراً . وانطلق الحماس الشعبى مجلجلا هداراً . وهنا يقف التاريخ موقف الاعجاب . ويحيى هذا الشعور الزاخر العباب . ويحمل إلى آذان العدو الرهبة والإرهاب . وبقى أن يأخذ الاتحاد ألوانه الحكيمة . وتسلك الأمة فيه مسالكه الجدية القويمة . فالاتحاد يتطلب التعاون على البر . والاخلاص للقضية فى الجهر والسر . ويستدعى أن يبذل كل فرد ما يدخل فى طاقته . ولا يدخر وسعاً فى الجود على الدولة بكل قوته . . وليتخذ كل فرد لنفسه ميدان النضال الذى يحسنه . وليوجه نفسه إلى العمل الذى يتقنه . . فللشجاعة ميدان يهرع إليه الأقوياء والفتيان . فهذا سبيل الله ينادى قصاده . ويفتح أبواب الجنة ليدخل رواده . وإن النفوس المؤمنة تتعشق الجهاد . وتولع بالجلاء . ولها إحدى الحسنيين . إما النصر . وإما الاستشهاد . . ولن يدخر الجبن عمر الجبان . ولن تعجل الشجاعة بموت الشجعان . فلكل أجل كتاب . . لا تمنعه الحصون . ولا تجلبه الحراب . .

وهذا سيف الإسلام خالد بن الوليد . يقول لكل جبان رعديد . لقد شهدت

مكتبتنا العربية

مائة زحف أو زهاءها . وما فى جسدى شبر إلا طعنه رمح أو ضربة سيف . وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير . فلا نامت أعين الجبناء . . .

وميدان الشجاعة إذا ازدحم بالعدد . . فقد بقى دور السخاء لتزويده بالعتاد والعدد . وفى هذا ميدان فسيح لأريحية الأغنياء . ليؤدوا حق الله أكرم الأداء ، وقد حدثنا التاريخ الإسلامى عن قوم خرجوا من أموالهم لنصرة دينهم . . وجهزوا لقتال المشركين على قدر ما يتسع لهم الإيمان واليقين . . .

وبهذا تعان الدولة على التزاماتها . ويحمل عنها بعض العبء فى تحقيق غاياتها . . حتى يشعر الجميع أن مال الأغنياء فى خدمة أغراضهم . . يساهم بالنصيب الوافر فى الذود عن حياضهم . . والاتحاد لا يؤتى أكله . . إلا إذا تضافرت كل القوى على تمكينه . وأدى كل مواطن رسالته تحت رقابة ضميره ودينه . فليفرغ كل واحد لعمله . . وليجعل كل مواهبه فى خدمة أمله . فأهل الرأى يخدمون بالخطط والأفكار . والأغنياء بالبذل والإيثار . والعمال بالاتقان والجد . وأصحاب الفنون المختلفة . والمهن المتباينة لكل منهم رسالة تتطلب بطولته وإقباله . . . وعلى رأس هذه التعبئة العامة يكون التنظيم . وتقدير الأمور على نمط سليم حكيم . لتواجه الأمة الموقف الراهن كتلة واحدة . . تتولى قيادتها حكومة مخلصة راشدة . . .

فليس أضر على الحركات الثورية من الخطط الفردية . التى تخضع للارتجال . . ولا يكون منها إلا تعويق الآمال . . .

وهكذا تمر بمصر فترة كريمة مشرفة . . تظهر فيها كل العناصر متحدة متآلفة . . فليبارك الله هذا الاتحاد . وليذك فى دماء الشعب حرارة الجهاد . وليرع الله هذه الحركة المباركة . التى تؤتى أكلها مرتين فتخلصنا من الأعداء . وتديم فينا هذا الاتحاد والصفاء . . .

وبذلك يصل الوادى إلى أمله ومبتغاه . فى ظلال الفاروق العظيم حفظه الله ورعاه . . . وجعله رمز الكرامة والأمان لمصر والسودان . . وأبقاه مصدراً للغيرة الوطنية وموجهاً للسياسة الأبية . للنيل من فتوته عزم . . وللشرق من كياسته حزم وكما كان ميلاده مقترناً بالثورة . . سيكون عهده المبارك مقروناً بالثمرة . .

وبهذا ينال الإسلام على يده ما ينتظره . . .

وبهذا يبلغ [illegible] . . . ؟

مكتبتنا العربية

في منزل الوحى

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد خليفة

المدرس بمعهد القاهرة

الليل موحش مخيف ترعش وحشته قلوب الفتاك ، والجبال جاثمة على صدر الصحراء يثير وجومها الرعب فى نفوس الدالجين ، والناس خلدوا فى دورهم وبين خيامهم الضاربة عند سفوح الجبال وبين بطون الأودية . ومجالس السمر جرّ عليها الليل أذياله فمحاها .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وخبت المشاعل ونامت ذبالاتها فنام كل صوت إلا غطيط الحالمين ، وليس فى مكة عين يقظى إلا عين خديجة بنت خويلد إنها تنزع بخيالها إلى البطحاء يتجاوز التلاع ويتسلق الجبال إلى حراء يرفرف ويحوم حول أمل الروح وبسمة الحياة محمد بن عبد الله إن قلبها يضطرب بين جنبيها خوفا على محمد من ذؤبان الصحراء وأفاعى الأخاديد ، فتمسك بقلبها خشية أن ينخلع ، فلقد خرج محمد منذ أيام إلى حراء ليعيش مع روحه وأفكاره أياما ولياليا بعيداً عن صخب مكة وما تزخر به لياليها من لهو الشباب والغناء .أما محمد ، فقد جلس على باب حراء هانئا بوحدته له من أفكاره العميقة ما يشغله عن وحشة الليل ، وعواء الذئاب ، وهرير الكلاب .

لقد بعث خياله وراء الأفق الداكن يلج الكعبة ، ويتنقل بين ضواحى مكة يرى صور الجباه المطبوعة على الثرى بين يدى اللات والعزى ومناه ثم يكر راجعا تفزعه هذه الوثنية الحمقاء فيصيح : ليست هذه آلهة ولا أنصاف آلهة ولا همزات الوصل بين الناس والآلهة إنها لا تنفع ولا تضر ، إنها لا تحيى ولا تميت ، إنها لا تطفىء ثورة الجائع ، ولا تروى غلة الظامىء إنها لا تجيب نداء الملهوف ولا تستجيب لدعاء البائس لا . لا . فلم تعنو لها الوجوه ، وتخر عندها الهامات ، وتعفر من ثراها الجباه ، وتقاد لها القرابين ، وتساق السوائم ؟

مكتبتنا العربية

أواه . . إنه الشيطان أغرى ناحت الصخر فنحته وصوره ثم نفض يديه من ترابه وخر له ساجدا يكبر الصنعة التى أتقنها والفن الذى جوّده ورآه الناس فخروا من ورائه سجدا والتفوا حوله يساومونه على بيع الإله فباعه . هذه أول صفحة من صفحات الضلال العقلى حللت غامضها .

ثم رفع بصره إلى السماء فرأى تلك النجوم المتناثره على صفحتها الزرقاء تلمع وترتعش أضواؤها فهتف : إنها نجوم الأمس وأموس مضت فما لها لا تغرق فى أمواج الظلام ، وما لها لا تهوى إلى الأرض وليست هنالك أسباب تمسكها ؟ إن قوة جبارة هى التى أرسلتها تسبح وأمسكتها أن تهوى ، ومدتها بالنور ليهتدى بها كل مساء يخبط فى ظلمات الليالى .

وذلك هو القمر انبعث من المشرق يطارد الظلمات فتعشو الى أضوائه عيون النجوم ، إنه يشق الطريق الى كبد السماء فأين تلك القوة التى تحركه وتدرج به فى معارج السماء وتنير صفحته فينير بها المشرق والمغرب إنها قوة خارقة أرى أثرها ولا أراها .

وتلك هى الأرض جثت من فوقها الجبال كأنها الأوتاد حتى لا تميد فتميد معها قلوب العابرين وقد صلب ظهر الأرض فلا تلين فتغوص فيها أقدام المحتالين إن القوة القادرة هى التى صنعت الأرض وأرست فوقها الجبال .

والبحر لقد رأيت صفحته تموج وتصطخب وتمتد ثائرة ترغو وتزيد ثم تعود ثورته الى جوفه ولا يمتد تمردها الى الشواطىء فتكسرها وتنطلق صاخبة تزيل التلال وتطيح بالجبال فأين تلك القوة التى سخرت صفحة البحر للسفن تمخر عبابها رغم الثورة الطاغية .

أواه : أيتها القوة الجبارة التى تمسك السماء نجومها وأقمارها والأرض تلالها وجبالها وشطآنها هل تستطيع نفس إنسانية أن تمد أسبابها بعالمك العظيم .

أيتها النورانية ، التى مدت الشمس بقوتها فغمرت العالم بنورها : مدى الى روحى شعاعا يكشف له أسرار هذا الوجود ، كأنى بهذه القوة مسكتها السماء [illegible] الأرض والسماء

مكتبتنا العربية

أيتها القوة التى هى أعظم من الوجود أرضه وسمائه ، وما غاب غير أرضه وسمائه . عنك أتلقى المعرفة ومنك يصل الى روحى شعاع الحقيقة ، وفى ظل تأييدك وعونك أحمل المشعل وأهتف للعالم الحائر فى ظلمات الحياة المتعثر بين الشكوك والريب :

هذه هى الحقيقة علمتها وآمنت بها فهلموا هلموا لتعلموها وتؤمنوا بها .

أيتها القوة التى ترانى وتدرى مكانى وتدرك كيانى ولا أراها ولا أدرى مكانها ولا أدرك كيانها وإن كنت أدرك آثارها : لقد عركتنى الأفكار ، وأنهكتنى الحيرة ، وتلمست سبيل الوصول الى ما لا أعلم فتشعبت على المذاهب وتنوعت السبل فازدادت حيرتى ولكنى لم أقنط فمتى تنجاب عن نفسى تلك الحجب وتنقشع تلك الأستار وتزول السدود التى وقفت بينى وبين الحقيقة .

ليت اليد الخفية التى خلقت هذا الوجود وبعثت فيه الحياة تمسك بيدى فتقودنى الى محرابها المقدس أتمسح به وأقبل أركانه وأسجد فيه متبتلا خاشعا ثم أصيح فى الناس :

هذا هو المحراب الحق الذى نسجد فيه لمن فطر السموات والأرض .

ليتنى أعلم هذه القوة التى خلقتنى ، وصورتنى بشرا سويا ، ورعتنى جنينا ، وسقتنى وليدا وأطعمتنى شابا ، ومنحتنى القوة . ووهبتنى البصر فأشكر لها نعماءها وآلاءها .

إنى لأحس بقبس من النور يكاد يربط قلبى بعالمها العظيم . إنه نور قوى كنور الشمس بل أعظم وأجل من نور الشمس يهز جوانحى ويرتعش بين أمواجه قلبى .

وعاد محمد يستعرض الصور التى مرت به ثم انتقل إلى نفسه يتبصر فيها . « إن له عينين ولسانا وشفتين » وفكر وأوغل فى التفكير حتى أثقلت رأسه الأفكار فأطرق وألقى جسده المكدود على صخر الغار ، فأخذته سنة أو ما يشبه السنة رأى فيها أن قوة ليست من قوة البشر ، وإنما هى فوق قوة البشر تضمه بين أحضانها ثم تهمس : أقرأ . فيقول وقد ضاق صدره بما لا قبل له به : ما أنا بقارىء

مكتبتنا العربية

تراث القوة . . . . ! !

للأستاذ الشيخ كامل محمد عجلان
المدرس بالأزهر

معارض الأدب العربى حافلة مزدانة بالمعانى القوية الثائرة على القيود والمحفزة لرد الطغيان و رَدْع المتحَيِّف .

وتاريخ الأدب القديم لا يعتز بنتاج الترف ولا يعتمد على نضحات الاستسلام وإنما تجرى صفحاته تقلب لدى الدارس أفانين البطولة وصرخات الدفاع وبدائع الانهاض وطرائف التحرر سواء فى ذلك المروى عن المتبدين والمسطور من المتحضرين فى الجاهلية والإسلام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فتطلقه ثم تعود فتضمه فى شدة وتقول : إقرأ فيعود إلى ضيقه فيقول : ما أنا بقارىء ، فتطلقه ثم تعود فتضمه فى شدة وترسله هاتفة :

« إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » . فينتفض مزعورا ، ويفتح عينيه ليرى ما ألم به فلم يجد شيئاً . وهنا أخذ محمد يقلب الطرف حواليه ، ويتنبه ليفكر فيما كان ، ويرجع ما سمع ، وما قال ولكن الخوف جدّ به نخشى أن يكون مس من الجن قد أصابه من هـــذه الوحشة المفزعة . فانطلق يأخذ الطريق إلى مكة إلى خديجة البارة يشكو إليها ما لقيه لعل فى أحضان عطفها وحنوها ما ينسيه شدة الوجل ، ولكن صوتا ناداه من السماء يسمعه ولا يراه :

يا محمد أنا رســـول الله إليك أنا جبريل أنا السبيل الى الحقيقة التى تنشدها

مكتبتنا العربية

تراث القوة . . . . ! !

للأستاذ الشيخ كامل محمد عجلان
المدرس بالأزهر

معارض الأدب العربى حافلة مزدانة بالمعانى القوية الثائرة على القيود والمحفزة لرد الطغيان و رَدْع المتحَيِّف .

وتاريخ الأدب القديم لا يعتز بنتاج الترف ولا يعتمد على نضحات الاستسلام وإنما تجرى صفحاته تقلب لدى الدارس أفانين البطولة وصرخات الدفاع وبدائع الانهاض وطرائف التحرر سواء فى ذلك المروى عن المتبدين والمسطور من المتحضرين فى الجاهلية والإسلام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فتطلقه ثم تعود فتضمه فى شدة وتقول : إقرأ فيعود إلى ضيقه فيقول : ما أنا بقارىء ، فتطلقه ثم تعود فتضمه فى شدة وترسله هاتفة :

« إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » . فينتفض مزعورا ، ويفتح عينيه ليرى ما ألم به فلم يجد شيئاً . وهنا أخذ محمد يقلب الطرف حواليه ، ويتنبه ليفكر فيما كان ، ويرجع ما سمع ، وما قال ولكن الخوف جدّ به نخشى أن يكون مس من الجن قد أصابه من هـــذه الوحشة المفزعة . فانطلق يأخذ الطريق إلى مكة إلى خديجة البارة يشكو إليها ما لقيه لعل فى أحضان عطفها وحنوها ما ينسيه شدة الوجل ، ولكن صوتا ناداه من السماء يسمعه ولا يراه :

يا محمد أنا رســـول الله إليك أنا جبريل أنا السبيل الى الحقيقة التى تنشدها

مكتبتنا العربية

والعربى ثم العربى المسلم اتخذ البيان عدة يحرص عليها كما يحرص على سلاحه وكانت الكلمة القوية فى فمه كالضربة المسددة فى يمينه وربما كانت الطعنة البيانية أصمى فى جراحاتها من رمية السهم وأقسى من وقع النبل .

وقد تمضى الموقعة وينفض الاحتراب ثم لا تجد فى أطواء التاريخ غير غبار الذكرى الخافته ولكن البيان الصادق فى خطبة أو قصيدة يأبى إلا أن يخلد الحادثة فى جملتها بما يهز العاطفة ويلهب الشعور وكلما مررت عابراً أو متأملا استوقفك الأثر فهفت نفسك وتنمرت فيك الغيرة واستبدت بك الحميه واندفعت وراء حقك السليب بفضل المأثور من الحماس والمروى من البيان القوى والافصاح السليم والتدفق الهدار .

وهكذا أحسن البيان ويحسن الينا حين يتخطى غوارب الزمن ليمشى حادياً الخلف آتياً من أرواح السلف فى حرارة قوية ونبرات حية مسعفة مسعدة .

وأينا فى مأزمة الشدائد لا يسترد منته إن أراد الوهن تخطفها حين يردد قول الناصح الحكيم . استقبال الموت خير من استدباره . ثم يردد قول شاعر الرسول حسان بن ثابت [1] .

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أعقابنا تقطر الدما

وقول العلوى :

محرمة أكفال خيلى على القنا ودامية لباتها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر وتندق منها فى الصدور صدورها

* * *

وفى أسلافنا من كان يتحامى الشر ولا يتمنى يومه ولكنه متى حمل عليه كان له بالمرصاد يحمى حماه ويدفعه بالقوة المكافحة من أمثال هدبة العذرى .

ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب
ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب

* * *

(١) روى هذا البيت فى الحماسة للحصين بن الحمام المرى من شعراء الجاهلية .

مكتبتنا العربية

وإنى حين أدعو فى مجالاتى إلى معارض الأدب والأدب القوى لا أغفل ما يجنح اليه الكثير من أن الصولة لم تعد للقلم وعلى الرغم من طغيان الجلبة المادية وأن حياة العالم أسكتت بحديدها ونارها صريخ البيان فأنى مع الجانب الخالد والسحر الباقى ولست بذلك مستخفاً ولا منكراً خطر العدة المادية كما قال شاعرنا العربى العباسى .

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

لأن الذى حرك السواعد لحمل السيوف والاستخفاف بالمخاوف والترهات لم يكن إلا البيان وإلا من استل الجبن من حنايا القادة قبل الاقدام فى الموقعة التى عناها الشاعر وفى الحادثة عينها وما شابهها .

* * *

والشعر العربى كان - ولا يزال - مصدر تحميس وتشجيع وملاذ إرهاف يجمع الأفراد والجماعات والقبائل والشعوب على الآمال والآلام ويدوى فى آذانهم ويذكرهم بالماضى ويجمل لهم المستقبل ويثبتهم على النصر ويقومهم على الفوز ثم يهزهم بنشوة الغلب وراحة الوفاء على الغاية المنشودة .

وهو هجيرا القاعد والمقدم وأنشودة الصغير والكبير وتسبيحة الخائف المتراجع حتى يندفع وتميمة المحارب حتى ينتصر .

فاذا نحن تلفتنا إلى شعر العرب ونقبنا فى أهازيجه شفينا النفس وصدقنا بضروبه وتفاعلت فى جوانحنا أفاعيله .

وسأعرض بين يدى القارىء لمعا عارية سافرة كاشفة عن قوة عالجت وخامرت وتعالج وتخامر وتمازج من يشدو بها مما قال ابن بدر التميمى مثبتاً نفسه مهونا عليها أمر المخاوف .

وقل للفؤاد ان نزابك نزوة من الورع أفرخ أكثر الروع باطله

وهذا عنترة الفوارس يقول :

[illegible] أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

مكتبتنا العربية

فأجبتها أن المنيـــة منهل لابد أن أسقى بكاس المنهل
فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى أنى أمرؤ سأموت ان لم أقتل

وأصدق ما يكون الشعر حين يثير النخوة ويحث ويقوى على الأخذ بثأر الهضيمة وليس العار فى أن تغلب ولكن العار كل العار أن تنام عن دفع العادى وتستكين على هوان ومذلة .

من هذا اللون الباقى على الأيام فى كل عصر يردد للنفرة والثأر قول عبد الرحمن ابن دارة الغزارى .

لئن أنتم لم تثأروا بأخيـــكم فكونوا نساء للخلوق وللكحل
وبيعوا الرديئيات بالحكى واقعدوا عن الحرب وابتاعوا المغازل بالنبل

* * *

لمثل هذا ومن هذا النبع جرى شعر الحماس وانتفعت الحياة العربية والإسلامية بالشعر وأدى رسالته وأينع وكان حصادة قويا فى شعوب قوية هزهم واهتزوا للبيان كما اهتزت أعالى المران .

حتى إذا انطمست جداول الفطر وتطامنت القرائح السليمة وانبسطت قوى الأعاجم على الأمبراطورية الإسلامية تخلف سلطان البلاغة وخفتت أغاريد البيان وراح الشعراء صناع حلية رخيصة ورصاف محسنات ضحلة لها بريق الزيف وخدع السراب .

* * *

ثم كان عصر النهضة الحديثة وكانت فيه يقظة شاعرة لم تكد تنهض حتى أثقلتها (عامية) الأغانى و (ميوعة) الأنين والحنين .

وجدت بنا الأحداث الحاضرة ومشقات الاستعمار فاذا الأسف يعض بنابه وإذا الدعوة صارخة تنادى بأدب القوة وأغانى القوة وأناشيد القوة .

إذا بكل هذا ونحن فى حاجة إلى أكثر منه فهل إلى رجعه من سبيل ؟ ؟ !

ذلك ما ندعو اليه وتلك معارض الأدب القوى وهى زعيمة بالانقاذ فإليها ... وعليها أن تمسح كل غوائل الضعف فى النتاج الشاعرى .

مكتبتنا العربية

التسابق الي الجهـــاد

لفضيلة الأستاذ الشيخ سيد شريف
المدرس بمعهد القاهرة

لقد ضرب رسول الله وصحابته أعظم المثل فى التضحية والإيثار . والشجاعة والإقدام ورسموا للشعوب أقوم السبل إلى الحياة الكريمة . حياة العزة والأنفة . والعدالة والمساواة . والحرية والإباء . ورصدوا للحفاظ على هذه المبادىء الإنسانية القويمة أثمن ما عندهم . وأغلى ما تقع عليه نواظرهم . لهم من صدق إيمانهم . ونبل هدفهم وسمو غايتهم قوة ومنعة . وجرأة وصلابة . لا يعرفون معها إلا أن يظفروا بالنصر . أو يكرموا بالاستشهاد .

وكان لهذه العقيدة أثرها فى تسابقهم إلى مواطن البذل . وميادين الجهاد . تراهم إذا ما جدّ الجد . وحان وقت العمل . ودنت ساعة الكفاح . يتزاحمون بالمناكب وهم معشر خُشُن لا تلين لها قناة . ولا تهن منهم عزيمة . وما استكانوا وما ضعفوا . وكانت على أقدامهم تسقط دماء كلومهم . وما أصابت يوما أعقابهم . لأنهم لا يعرفون الهزيمة . ولا يركنون إلى الفرار . ولا تحفظ أفهامهم . وتعى أذهانهم إلا أن يعيشوا كرماء . أو يموتوا شهداء . كذلك علمهم القائد المسدد محمد بن عبد الله . ونشأهم على أسمى السجايا . ورفيع الخلال . ولقنهم دروس الصبر عند الشدة . وكظم الغيظ . والعفو عند المقدره . وأن يكونوا أباة للضيم . وأن تحرك أريحيتهم الدعوة إلى البر والسخاء . وفاءً بحق الدين والوطن عليهم ولقد تمثل كل ذلك حينما دعا رسول الله إلى غزوه تبوك لما بلغه أن الروم تهيء جيوشا لغزو حدود العرب الشمالية . حتى تُوقف سلطان المسلمين الزاحف فى كل مكان . ليتاخم سلطان الروم فى الشام . وسلطان فارس فى الحيره . وكان فى الصيف بقية . ثم إن المسافة بين المدينة والشام طويلة شاقة . تتطلب شدة الجلد . وقوة الاحتمال . وتحتاج إلى مزيد من المؤونة ووفر من الماء .

مكتبتنا العربية

وكان الناس إذ ذاك يشعرون بعسرة وضيق . وجدب ومحل ، إذاً لا مناص للنبي من أن يطالع القوم بعزمه السير إلى الروم . وعقده النية على قتالهم إذا التقى الجمعان . حتى يأخذوا لذلك الأمر عدته . وقد خالف بهذا تقاليده فى سابق غزواته إذ كان يسير بجيشه فى غير الجهة التى يقصدها تضليلا لعدوه . وإخفاءً للخطة التى يزمع اتباعها حتى لا يفشو أمرها . وتذاع أسرارها .

وقد بعث إلى مكة وقبائل الأعراب يستنفرهم للجهاد . فاستجاب لهذا النداء أولئك الذين أقبلوا على الدين بقلوب تفيض هدى ونورا . ونفوس تمتلىء عزما وإخلاصا . ولم يصدف عن هذه الدعوة إلا أناس نفعيون دخلوا فى الدين رغبة فى المغانم التى تدفقت على المسلمين ممن رضوا أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . أو دخلوه خوفا من القوة التى أذلت الطغاة المتجبرين . وأخضعت السادة المفتونين . هؤلاء تثاقلوا والتمسوا الأعذار لتخلفهم [وقالوا لا تنفروا فى الحر . قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا . وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون] وتتابعت الأعذار تترى على رسول الله من الذين فى قلوبهم مرض . وكان من بينهم الجد بن قيس أحد بنى سلمة إذ يقول يا رسول الله . أو تأذن لى . ولا تفتنى . فوالله لقد عرف قومى إنه ما من رجل أشد منى بجبا بالنساء وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر . يقصد ببنى الأصفر . الروم وفيه نزل قوله تعالى . [ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى . ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين] .

واستأذن كذلك كثير من المنافقين فأذن لهم وفيهم يقول تعالى « إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون » . وقد كشف الله مستورهم وبين أنهم كاذبون فيما يعتذرون به إذ يقول « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره انبعاثهم ، فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين » . وقد ظاهر هؤلاء جماعة تنطوى نفوسهم على بغضاء الرسول . ساروا بين الناس يحرضونهم على التخلف عن القتال . ويذيعون بينهم إذاعات مغرضة . تهدف إلى إشاعة التخاذل والتفكك . والخوف والذعر فى صفوفهم ، واتخذوا بيت سويلم

مكتبتنا العربية

اليهودى نادياً لهم . ولما رأى رسول الله خطر إرجافهم ، أخذهم بالشدة ، فبعث إليهم طلحة بن عبد الله فى نفر من أصحابه فحرق بيت سويلم عليهم . وقد أصيب أحدهم ، واقتحم الباقون النار فأفلتوا ، ثم لم يعودوا بعدها إلى مثل عملهم . وكانوا عبرة لغيرهم ، فلم يجرأ أحد على اقتراف هذا الإثم بعدهم حذراً مما حاق بهم .

ثم أخذ الرسول بعد أن طهر صفوف الأمة من دعاة الهزيمة . يعد جيشاً قوياً يستطيع أن يواجه جيوش الروم . وحينما رأى أن موارد بيت المال لا تفى بالغرض المرموق . أشرك سراة المسلمين فى تجهيزه . وقد دعاهم إلى المساهمة بأموالهم فى سبيل الله ، فلبوا مسرعين . وكان أول من جاء أبو بكر الصديق ، قدم أربعة آلاف درهم فقال له الرسول هل أبقيت لأهلك شيئاً:قال أبقيت لهم الله ورسوله . وجاء عمر بنصف ماله . فسأله هل أبقيت لأهلك شيئاً . قال نعم نصف مالى . وحمل العباس وطلحة . وسعد بن عباده مالاً كثيراً . وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتى أوقية . وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقاً من تمر . وأنفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار . وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، وخمسين فرساً . وتقدم كل قادر على نفقة نفسه ، بعدته ونفقته .

وبهذه المساهمة السمحة . تم إعداد جيش قوى ، بلغت عدته أكثر من ثلاثين ألفاً . ولولا ما اقترن به خروج الجيش من عسرة وشدة ، لبلغت عدته آلافاً مؤلفة لكثرة الراغبين فى الجهاد ، الطامعين فى شرف الاستشهاد . وحين قال الرسول لجمهرة منهم ، لا أجد ما أحملكم عليه . تألموا ألماً بالغاً ، وفاضت أعينهم بالبكاء . وفيهم نزل قوله سبحانه « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ، ألا يجدوا ما ينفقون » .

وخرج هذا الجيش الجرار مخترقا الصحراء ، صوب الشام ، مستهينا بما يلقى من حر وظمأ ومسغبة . ولما بلغ تبوك وجد أن الروم آثرت الانسحاب لتتحصن داخل البلاد بحصونها . ومكث المسلمون بتبوك قرابة عشرين يوماً . يناجزون من شاء أن يناجزهم . ثم قفل راجعاً إلى المدينة بعد أن أمن الحدود . وأقر الهدوء [illegible] الجنوح إلى الطاعة . وكان يريد

مكتبتنا العربية

الانتقاض . فأسره وأتى به إلى المدينة ومعه ما حمل من إبل وشاء ، ودروع وبر . وقد فرح المسلمون بنصر الله العزيز الحكيم . وذلك جزاء الصادقين الصابرين .

وإن حال المصريين اليوم مع عددهم الظالم المغتصب . لهى قريبة الشبه بحال المسلمين الأولين فى غزوة بتوك مع عددهم القوى المغرور . تستدعى من القائمين على الأمر أن يضربوا على أيدى العابثين الذين يحاولون أن يخرجوا على ما عقدت عليه الأمة عزمها : من مقاطعة العدو ، والتضييق عليه ، وأن يأخذوا بالشدة البالغة كل داعية إلى التردد والتراجع ، وكل من يثير الشكوك فى قدرة الشعب على الثبات والاحتمال ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المرجفين من المنافقين .

والظروف الراهنة تدعو المجاهدين من أبناء النيل إلى القدوة الحسنة بأسلافهم الذين هبوا إلى الجهاد سراعاً يتسابقون . حتى إذا قال النبى لبعضهم لا أجد ما أحملكم عليه ، حزّ ذلك فى نفوسهم ، وفاضت مآقيهم بالبكاء حزناً ألا يجدوا ما ينفقون . لأنهم كانوا يأملون أن يتسنى لهم أداء الواجب المقدس عليهم لدينهم ووطنهم رجاء أن تكون لهم إحدى الحسنيين . وبوادر الإقبال الزائد على كتائب الكفاح الشعبى مما يملأ الجوانح رضى وإعجابا ، وثقة بالفوز القريب ، والنصر المبين . ويقينا بأن بنى الوادى خير خلف لخير سلف . والحاجة إلى المال الآن تعدل حاجة المسلمين إذا ذاك إليه . وحبذا لو أسرع الموسرون إلى الخروج عن بعض ما يملكون ، لا عن كل الذى يملكون كما فعل السابقون الأخيار ، ليساهموا فى معركة التحرير التى تدعو إلى مقت العيش تحت نير الذل والاستعباد ، وتقديس الحياة فى ظل العزة والاستقلال . حتى يغرسوا بصنيعهم فى القلوب حبّاً لهم وتقديرا وإخلاصاً ووفاءً ، ويستحقون من الله أجزل الجزاء ، وأوفى الأجر . والباخلون فضلا عما لإمساكهم من أثر سيء يملأ القلوب بغضاً لهم . وحقداً عليهم وتربصاً بهم فسيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة . والشعب يرقب أعمالهم ، ولن ينسى إحسان المحسن ، أو إساءة المسيء « من عمل صالحاً فلنفسه . ومن أساء فعليها » .

والله خير مسئول أن يوفق أبناء الوطن جميعاً للعمل على رفعته وإعزازه ، وأن يهديهم سواء السبيل .

مكتبتنا العربية

مولد النور الأعظم

بداية عهد جديد فى تاريخ الإنسانية

لفضيلة الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

المدرس بكلية اللغة العربية

— ١ —

ذلك النور السماوى العظيم ، الذى كان يظهر بين الحين والحين ، مبشراً برسالة سماوية جديدة ، فيها خير الحياة والوجود ، لابد أن يظهر مرة أخرى على الأرض ليبدد الظلمات ، ويحارب الأوهام والضلالات ، ويمحو ما ران على قلوب الناس من أباطيل وأساطير ، وجمود وجهل ، وعصبية أثيمة كاذبة .

وذلك الناموس الذى كان ينزل على إبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء من قبل ، لا بد أن ينزل على رسول كريم من جديد : ليدعو الناس إلى أمثل الأخلاق ، وأكرم الآداب ، وأفضل الشرائع .

بهذا كان أهل الكتاب يتحدثون . وبه كانوا يؤمنون ، تصديقاً لبشارة الأنبياء والكتب السماوية بظهور إمام الأنبياء وخاتم المرسلين .

ومرت الأيام بطيئة مسرفة فى بطئها ، والظلام يشتد ، والظلم والاستبداد والطغيان ينتشر ، والوثنية والشرك يصبحان عقيدة الناس فى الحياة ؛ وتوالت البشارات تجدد الأمل ، وتحيي الرجاء ، وتؤمن الناس على مستقبل الإنسانية ، وتنبئهم بقرب بزوغ نور الفجر الجديد .

لا بد أن ينهار ملك كسرى وقيصر . لأنه يقوم على أسوأ النظم والشرائع والعقائد : ولأن عهد استعمارهما للعالم لا بد أن ينقرض : والحرية الكبرى منذا يصد تيارها الزاخر القوى المندفع بقوة الله :

مكتبتنا العربية

وهؤلاء الباحثون عن الحقيقة الكبرى : ورقة بن نوفل الأسدى ، وزيد بن عمرو بن نفيل العدوى ، وعثمان بن الحويرث الأسدى ، وعبيد الله بن جحش ؛ يجتمعون فى الجزيرة العربية فى يوم عيد لهم ، فيقول بعضهم لبعض : تعلمن والله ما قومكم على شىء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به لا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شىء . . . وذهبوا يطوفون فى البلاد يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم . . .

وكان زيد يسند ظهره إلى الكعبة ويقول : يا معشر قريش : والذى نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيرى : ثم يقول : والله لو أنى أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحلته .

وفى مكة فى صباح يوم خالد ميمون ، ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، تسبقه إرهاصات ، وتحف بمولده الكريم معجزات وكرامات ، وتسير معه يوما بعد يوم بشريات وأى بشريات ؛ ويحفظ الناس ما ذاع من ذكريات مولده ونشأته الكريمة المعطرة . وبدأ النور الإلهى يظهر فى الأفق ، وأخذ الناموس السماوى يستعد لآخر رحلة له إلى الأرض .

وشب الغلام ونما ، نبيلا شريفا وسيدا سريا ، وفتى زكيا ، ولق قومه وقوم مرضعته الثناء والخير على وجه الأغر . وقدمت به حليمة السعدية على أمه بعد فصاله ، ترجو أن تطيل لبث فتاها عندها ، متعللة بوباء مكة . فقبلت آمنة بنت وهب ، ورجعت به حليمة فرحة مستبشرة .

وبعد شهور كان محمد الغلام يلعب ومعه ابن حليمة خلف الرحال ، وبعد قليل جاء أخوه يشتد ، وهو يقول : ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان ، فأضجعاه فشقا بطنه ، فهما يسوطانه ؛ فخرجت حليمة وزوجها نحوه ، فوجدته قائما منتقعا وجهه فالتزمته هى وزوجها ، وقالت : مالك يا بنى ؟ قال : جاءنى رجلان ، عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشقا بطنى ، فالتمسا شيئا لا أدرى ما هو . فتخوفت عليه حليمة ، وقدمت به على أمه ، وقصت عليها القصص ، فقالت آمنة : إن لبنى لشأنا أفلا أخبرك خبره ؟ قالت حليمة : بلى ، قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء لى به قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله

مكتبتنا العربية

ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء ؛ دعيه عنك وانطلق راشدة . . وما أصدق مايقول محمد بعد ذلك : أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى .

ورأى بحيرا الراهب محمداً الغلام ، فى بصرى بأرض الشام ، مع عمه أبى طالب ، فرأى المعجزة الكبرى قريبة منه ، فأخذ يحدث محمداً ويسأله ، ثم قال لعمه : اذهب بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه فإن له لشأناً عظيما .

وسمع ورقة بن نوفل ما كانت تتحدث به خديجة بنت خويلد عن محمد وشأنه ، وكان عالما بالديانات والكتب السماوية ، فقال لها : لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة . وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر ، هذا زمانه . . وجعل ورقة يستبطئ مرور الأيام ، ويقول : حتى متى رسالة الله ؟

— ٣ —

وبينما كان محمد يتعبد بغار حراء ، جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله ، يبلغه رسالة الله ، ويحمله أمانته .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ورأى محمد ما رأى من الآيات الكبرى ، وسمع الصوت الإلهى يناديه من كل مكان : يا محمد أنت رسول الله وهذا جبريل . ورجع إلى خديجة ينبئها النبأ ، فقالت : أبشر يا ابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ؛ ثم انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تقص عليه القصص ، فقال ورقة : قدوس قدوس ، والذى نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتنى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وإنه لنبي هذه الأمة . . ولقيه ورقة فى الكعبة وهو يطوف بها فقال : يا ابن أخى والذى نفسى بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى .

ونزل القرآن الكريم دستور هذه الرسالة المحمدية العظمى ، وجاهد الرسول ومن آمن معه جهاد الأبطال ليبلغ رسالة ربه إلى الناس كافة ، وليحمى حرية الدعوة إلى الدين من أذى المشركين وطغيانهم .

[illegible] عمه .

مكتبتنا العربية

إذ جاء جبريل وملائكة معه ، فأضجع محمداً وشق صدره ، وأسرى به إلى بيت المقدس فصلى بالأنبياء والرسل إماما ، ثم أتى بثلاثة آنية : من لبن وخمر وماء ، فأخذ إناء اللبن فشرب منه ، فقال له جبريل : هديتَ وهديتْ أمتك يا محمد ، ثم عرج إلى السماء ، فاستقبلته الملائكة والرسل والنبيون ؛ حتى إذا كان بالأفق الأعلى ، وقف أمام ربه يناجيه ، وثبته الله بالقول الصادق ، والإيمان الحق ، واليقين النبوى العظيم .

وهاجر محمد إلى المدينة ، وأنقذ الدعوة من خطر المشركين وأذاهم وصدهم ، فذاعت فى كل مكان ، ودعا إليها الناس كافة ، وأرسل بنبئها الرسل إلى الأمراء والملوك والأقيال .

ثم اختاره الله إلى جواره الكريم ، بعد أن أنشأ أمة ، وأسس دولة ، ونشر شريعة الله ودينه الحق فى العالم كله .

صلوات الله وسلامه عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا ، وصلوات الله عليه كلما ذكره الذاكرون وحمده الحامدون .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

— ٣ —

وخفقت أعلام الإسلام وبنوده فى كل مكان ، وانطلق هداته ودعاته فى كل قطر ، يبشرون الإنسانية بهدى الله ، ويحررون العقول من جمود التقليد والجهل والخرافات ... يبشرون بحريات الناس والشعوب ، ويطلقون الأمم من إسارها ؛ ويرفعون عنها الأغلال التى قيدها بها الملوك المستبدون ، والقياصرة المتكبرون ، ويمحون ظلال الاستعمار والاستعباد والاضطهاد من الأرض ؛ ويبطلون ماتعارفت عليه الأجيال من آراء زائفة ، وأفكار باطلة ، وتقاليد ضالة ، فليس الحاكم ظل الله فى الأرض ، وليست الأمم ملكا لملك ، وليس الحكم مغنما لأمير ، وليست هناك وصاية على أمة ، ولا حجر على جماعة ، ولا استغلال أو نهب لمرافق طائفة من الناس لحساب طائفة أخرى .. الحكم شورى ، ولا يجوز أن يستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .. العدالة والانصاف والمساواة والإخاء والحرية حق لكل إنسان فى الحياة .

مكتبتنا العربية

— ٤ —

وبعد قليل كانت الجامعات الإسلامية فى قرطبة ، وطليطلة ، وغرناطة ، وفى القيروان والمهدية ، وفى الفسطاط والقاهرة ، وفى دمشق وحلب ، وفى بغداد والبصرة والكوفة ، وفى بخارى وخوارزم وقزوين ، وفى كل مكان ... كانت تعج بالطلاب والأساتذة ، وتنشر العلم والثقافة والنور فى كل ناحية ، وتقوم على حرية البحث والفكر والرأى ، وعلى الإخلاص فى خدمة الحقيقة ، وعلى التعاون الإنسانى بين شتى العناصر والألوان والأجناس والشعوب لخدمة الإنسانية والرقى بالحياة .

بينما كانت أوربا تنام فى الظلام ، وتعيش على الأوهام ، وتحيا على الجهل والجمود والقذارة والحجر على الحريات ؛ وتنتقل من عصور الرق البائدة إلى عهود الأقطاع القاسية المستبدة .

فمن مثل محمد فى عظمته وجليل أثره على الدنيا ، وعظيم أياديه على الحياة ؟ ومن مثله من الدعاة والمصلحين والزعماء والفاتحين ، نجح فى رسالته ذلك النجاح المنقطع النظير ؟ ، ومن مثله كان يعمل لأغراض إنسانية عالية ، فينسى نفسه وأهله وقومه ، ويجاهد لتحطيم رءوس الضلال ، وشياطين الظلام فى كل مكان ؟ ومن مثله كان مع هذا السلطان العظيم ، والنفوذ الضخم ، يعيش مع الفقراء ، ويحيا مع المساكين ، ويعمل فى مهنة أهله ، ويأكل التمر ، ويقنع بالخبز ، مع حسن العشرة والأدب والتواضع والرحمة والرأفة والوفاء وحسن العهد ، وصلة الرحم والعدل والعفة ، والأمانة والصدق ، والإخلاص لله رب العالمين ؟ ومن مثله حطم رءوس الاستعمار فى كل مكان ، وهدم الاستبداد فى شتى صوره وأشكاله ، وأقام للحرية مناراً عاليا يفىء إلى ظله كل إنسان ؟ .

إنه لرسول الله إلى الناس كافة ، ونبى البشرية الذى أنقذ الدنيا من ظلمات الجاهلية الأولى ، وقائد العالم إلى النور والعدالة والخير والمساواة . وخاتم الأنبياء والمرسلين . وصدق الله العظيم : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شىء عليما » ؟

مكتبتنا العربية

من طرائف القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الغنى عوض الراجحى

المدرس بمعهد القاهرة

نقتصر فى بحثنا هذا على خمس طرائف تتعلق بتشابه النظم فى قصص القرآن الكريم حيث يكون المعنى الأصلى واحد أو كالواحد يحكى فى أكثر من موضع بعبارات تختلف تقديما وتأخيراً وذكراً وحذفا ونحو ذلك .

نكشف عن سر ذلك بطريقة تفصيلية بعد ما هو مفروغ منه من أن ذلك فى جملته مرده إلى التفنن والتنويع ومناسبة المقام لمقتضى الحال من غير مناقضة للواقع خارجا ومن غير مدعاة إلى أن نرد ذلك إلى ما يسميه بعض الباحثين بالفن القصصى فى القرآن (١) .

الطريقة الأولى : فى قول قوم صالح له فى سورة « هود » : « أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وأننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب » مع قول قوم نوح وعاد وثمود لرسلهم : « إنا كفرنا بما أرسلتم به وأنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب » فإن المعنى واحد فما الذى أوجب فى القول الأول أننا لفى شك بنونين وأوجب فى القول الثانى إنا لفى شك بنون واحدة ؟ ؟

والجواب أن المخاطب فى الآية الأولى واحد فكان « تدعونا » بنون واحدة لا يصلح إلا ذلك والمخاطب فى الآية الثانية جمع فكان « تدعوننا » بنونين الأولى نون الرفع والثانية نون الضمير لا يصلح إلا ذلك .

فإذا كان ذلك كذلك وكان من الجائز عربية أن يقال فى صدر كل من الجملتين أنا أو أننا لفى شك كان من الحسن والتعادل أن يقال أننا فيما كان فيه تدعونا

---

(١) راجع كتاب الفن القصصى فى القرآن تجده ـ غفر الله لصاحبه ـ قد عزا هذه الظاهرة إلى أن القصص فى القرآن صنيع أدبى فنى من الضرورى أن يلتزم فيه الصدق والمطابقة للواقع فى الخارج .

مكتبتنا العربية

وأنا فيما كان فيه تدعوننا وهكذا كان الصنيع الأول برمته فى الآية الأولى والثانى برمته فى الآية الثانية .

على أننا لو أردنا أن ندقق النظر أكثر لوجدنا أن كل صنيع فى موضعه مشابه لسابقه فى نفس الآية فالصنيع الأول تقدمه فى نفس الآية ضمير نصب متصل بالفعل لا يحدث فى آخر الفعل تغيير من أجله وذلك فى قولهم : « أتنهانا أن نعبد » فلحقه ما لا تغيير فيه فقيل على الأصل أننا دون حذف بينما كان الصنيع الثانى قدتقدمه ضمير رفع متصل بالفعل يتغير له آخر الفعل من الفتح إلى السكون وذلك فى قولهم : « كفرنا بما أرسلتم به » فلحقه ما فيه التغيير بحذف النون فقيل أنا بدلا من أننا . . .

الطريقة الثانيه : فى قول قوم صالح له فى سورة « الشعراء » : « أنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا » مع قول قوم شعيب له فى سورة الشعراء : « أنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا » : فإن المعنى واحد فما الذى أوجب حرف العطف بين الجملتين فى قصة دون أخرى ؟؟

والجواب أن الحرف دال على المغايرة والتعدد والذهاب بالجملتين مذهب الشيئين كونه بشراً مثلهم وكونه مسحوراً معللا بالطعام والشراب أو أن السحر جعله يهذى ويخلط وحذف الحرف دال على أن الثانى بيان للأول فالجملتان كشىء واحد ففى طريقة الوصل والعطف بالواو من الضراوة فى الجدال والكفر ما ليس فى طريقة الفصل وترك الواو فإذا علمنا أن قوم صالح كان لهم فى كفرهم هوادة لأنهم كانوا عادا الثانية قريبى عهد بعاد الأولى وما نزل بها من الهلاك وأن قوم شعيب كانوا أكثر منهم جدلا وأعنف كفراً علمنا لماذا كانت طريقة الوصل فى قصة شعيب وطريقة الفصل فى قصة صالح . ألا يرى كيف استرسل قوم صالح فى الهوادة فطلبوا آية فى قولهم لصالح : « فأت بآية إن كنت من الصادقين » فأجابهم « هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » على حين أبان قوم شعيب فى [illegible] من السماء إن كنت من الصادقين » ؟

مكتبتنا العربية

ولو قيل إن صالحا دعا قومه بالقليل فأجيب منهم بالقليل وشعيبا دعا قومه بالكثير فأجيب منهم بالكثير لم يكن بعيدا (١) .

الطريقة الثالثة : فى قوله تعالى فى سورة « المؤمنون » فى قصة نوح من قول قومة له : « إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين » . مع قوله تعالى فى السورة نفسها فى قصة هود من قول قومه فيه : « إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين » .

ما السر فى اختلاف ما رمى به كل قوم رسولهم ؟ ؟

كان نوح أمهر الناس فى الدعوة إلى الله يدعو قومه ليلا ونهارا ، اعلانا واسراراً ، وقد شرع فى أخريات دعوته الطويلة المدى يصنع السفينة فى برية لا ماء فيها ، فلا يخلو والحالة هذه لقومه وصف يخلعونه عليه إلا وصف الجنون ، كما قال تعالى عنهم فى سورة القمر « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر » أما هود وقومه فلم يكونوا بهذه المثابة والملابسات ، فاكتفوا بوصفه بأنه « رجل افترى الكذب على الله » .

الطريقة الرابعة : فى قوله تعالى فى سورة « هود » فى قصة ابراهيم من قول الملائكة له « لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط » وفى سورة الحجر نفس القصة والمقالة « (٢) لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم » وفى سورة الذاريات نفس القصة والمقالة « لا تخف وبشروه بغلام عليم » مع قوله تعالى فى سورة العنكبوت فى قصة لوط من قول الملائكة له « لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك » فإن المذكور فى قصة إبراهيم فى جميع مواضعها هو النهى عن الخوف ، بينما المذكور فى قصة لوط هو النهى عن الخوف والحزن ، فهل من سر لهذه الزيادة ؟ ؟ السر - والله أعلم - أن الخوف غم يصيب الإنسان لأمر يتوقعه مستقبلا ، والحزن غم يصيبه لأمر وقع ، فإذا علمنا أنه لم يكن فى حال إبراهيم مع الملائكة ما يدعو إلى الحزن ، إنما هو الخوف حين

---

(١) راجع القصتين فى السورة المكررة وغيرها من السور .

(٢) الوجل . الخوف . وأسرار اختلاف العبارات فى قصة ابراهيم مبينة فى مفارقات قصته على حدتها

مكتبتنا العربية

علم من امتناعهم عن الطعام أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون إلا لأمر يخيف ، علمنا وجه الاختصار على ذكر الخوف فى هذا الموطن ، ونظيره قول شعيب لموسى حين جاءه وقص عليه القصص « لا تخف نجوت من القوم الظالمين » وقول الله لموسى حين ولى مدبرا عن العصا « يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين » . وإذا علمنا كذلك أن لوطا كان فى حالة خوف من قومه أن يعتدوا على ضيوفه الملائكة وفى حالة حزن على ما أظهروه من ارادة هذا الاعتداء ومراودته على مرآى ومسمع من ضيفه ، علمنا وجه ذكر كل من الخوف والحزن فى هـــذا الموطن ، ونظيره قول الله لأم موسى « فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى » فانها خافت عثور فرعون عليه وحزنت لفراقه ،

الطريقة الخامسة : فى قوله تعالى فى سورة القمر فى سائر قصص السورة « فكيف كان عذابى ونذر » فان هذه الجملة بهذا النص قد ذكرت فى قصتى نوح وشعيب مرة واحدة ، وفى قصة هود بهذا النص أيضاً مرتين ، وفى قصة لوط كذلك مرتين ولكن بلفظ « فذوقوا عذابى ونذر » فالمسؤول عنه ها هنا شيئان الثنينيتها فى قصة هود خاصة ، والثنينيتها فى قصة لوط مع التعبير بالذوق بدلا من الاستفهام ؟؟

أما الأول : فجوابه أن عاداً قوم هود خاصة كان لعذابها الأخروى فى القرآن ذكر مع عذابها الدنيوى ، وذلك فى قوله تعالى فى سورة فصلت « فأرسلنا عليهم صرصراً فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » فاختصت بالتنويه بالعذاب والنذر مرتين ، أولاهما لعذاب الدنيا ، وأخراهما لعذاب الأخرى ، وهذا عندى ضعيف ، لأن قوم نوح كذلك نوه القرآن بالعذابين لهم الدنيوى والأخروى فى قوله تعالى فى سورة نوح « أغرقوا فأدخلوا نارا » فأظهر منه أن يقال أن عاداً هذه الأولى قد كانت ضربت فى النعيم والترف والقوة والمكنة فى الأرض بسهم أوفر ، فكان ذلك مدعاة اغترار واستبعاد أن تقدر قدرة ما على قلعهم منه ، فكان التكرار فى هـذا المقام لتوكيد حصول ما كان يستبعد حصوله من إصابة المحز بمكان . ألا يرى كيف قالوا من أشد منا قوة ؟ وكيف رد الله عليهم بقوله . أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد

مكتبتنا العربية

منهم قوة » ؟ وكيف قال لهم نبيهم (أتتركون فيما هاهنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) ؟ وكيف قال لهم فى مقام آخر (استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم) ؟ وكيف قال الله فيهم « ألم تر كيف فعل ربك بعاد أرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » ؟؟

أما الثانى : فجوابه أن أولى هاتين العبارتين فى قصة لوط إنما كانت فى عذاب المعتدين على ضيف لوط الذين راودوه عنهم ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر » وثانية هاتين العبارتين إنما كانت فى عذاب القوم عامة ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابى ونذر » . أما التعبير بالذوق خاصة فى هذه القصة بدلا من طريقة الاستفهام السابقة فى سائر القصص فلعله لأن هذه القصة كانت آخر هذه القصص ، فكانت أقرب إلى ما ذكر فيه الذوق فى نهاية السورة الكريمة من عذاب الكافرين فى قوله تعالى « إن المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر » ولعله لمراعاة نوع الجريمة التى كان يحترفها قوم لوط فان فيها بالنسبة لجرائم الآخرين نوع ذوق للذة حسية آثمة . فليذوقوا مر العذاب آخرا لأنهم ذاقوا حلاوة الفاحشة أولا .

الرأى السديد

أشار حكيم على حكيم برأى ، فقال : لقد قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذى يخلط حلو كلامه بمره ، وسهله بوعره ، ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره : وقد وعيت النصح وقياسه ، إذ كان مصدره من عند من لا يشك فى مودته ، وصفاء غيبه ، ونصح حبه ، ومازلت بحمد الله ابى الخير طريقا واضحا ، ومنارا بينا .

قال العتبى : قيل لرجل من عبس : ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ، فنحن نشاوره فكأنا ألف حازم .

مكتبتنا العربية

من ذكرى المولد :

الحيرة فى شباب محمد

مظهر النضوج العقلى وطريقه إلى الحق

فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم على شعوط

المدرس بكلية اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم :

كانت الأمور فى مكة تسير سيرها العادى الرتيب ، وعكف السمار والندامى إلى حاناتهم يديرون بنت الحان ، من عتيق الدنان ؛ وتسلل الشباب المفتون إلى شعاب الجبال ومنعطفات التلال ليلتقوا بالخليلات اللائى اعتدن أن يكن مع الفتيان فى هذه الأماكن على ميعاد .

وفريق آخر من الموسرين قد نصبوا الميسر ساحات واسعات ! لا تخلوا من الفتن والنزاعات ، ويسمع فى جنباتها أيمان مغلظات باللات والعزى .

وقد انصرف الشيوخ والجمهور إلى ضرب من العبادة ، تلتمس فيه كل قبيلة عبادتها لإلهه تعمل على تقدسه وتقدم له القربات .

وفريق اتخذ نوعا من تجارة الأعراض وسيلة للغنى ، فأكرهوا على البغاء الفتيات : حتى هانت منزلة الأنثى عندهم فلجأوا إلى وأد البنات وعاش كثير من القبائل على السلب والنهب والغارات .

كل ذلك كان يجرى فى دجى الليل أو فى ضحى النهار فى مكة وفى غيرها ، من بلاد العرب .

وكان الفتى عبد الله بن عبد المطلب قد بلغ مبلغ الرجال فاختار له والده العظيم فتاة من أكرم السلالات لتكون له زوجا حتى تقر عينه بولده الذى نجا من الذبح بأعجوبة رضى عنها الآلهة وأقرها الكهان .

مكتبتنا العربية

هذه الفتاة هى آمنة بنت وهب كريمة العنصر طيبة المنحدر .

لم يحقق زواج عبد الله من آمنة ما كان يصبو إليه الزوجان من متاع نفسى أو جنسى رغم أنهما كانا فى ريعان الشباب وميعة الصبا .

وكان المولى سبحانه وتعالى لم يجعل هذا الزواج سوى وسيلة لإيجاد محمد عليه السلام . فلم تطل إقامة عبد الله مع آمنه إلا ريثما تم حملها فيه عليه السلام ثم اختفى عبد الله من الوجود بعد أن قام بدوره المقدور فى علم الله .

وإن الفتاة آمنة بنت وهب التى نكبها الدهر بفقد زوجها الحبيب وهى فى عنفوان قوتها وسطوع شبابها لتشعر بمرارة الحزن وضراوة الوحده لولا ما كان يتحرك فى أحشائها من أمل وما ينتظره من سلوى فى وضعها هذا الجنين .

والشيخ عبد المطلب ! قد لفه الحزن بثوبه الأسود وانعكست سحب الهموم على وجهه الضاحى الطروب ، فاختفت وراء هذه السحب بسماته الوضاءة الجميلة وهو يعد — بفارغ الصبر أيام آمنة فى حملها ويعد نفسه ليوم سعيد .

ومضت فترة الحمل واستكملت آمنة أيامها فى منتصف العام السبعين بعد الخمسمائة من ميلاد المسيح عليه السلام حيث كان عام الفيل .

وتحققت الآمال بوضع هذا الوليد ليخلف أباه ويملأ الفراغ الذى تركه . فعادت إشراقة الوجه إلى آمنة وانبسطت أسارير عبد المطلب .

وهناك بين خيام بنى سعد وعلى رمال أرضهم نما محمد ونضج مبكرا وبدت نجابته على كل أقرانه من أطفال بنى سعد .

رجع محمد إلى أمه ليراها وتراه بعد فترة قضاها فى مدرسة البدو التى ظهر واضحا فى خلقه وفى خلقه .

عاد متلهفا على أمه ولكن المقادير كانت قد أعدته للصدمة الأولى فى وفاتها وهو فى سن يحتاج فيه للحنان الدافق من قلب الأم التى ليس لها سواه .

ووجد عزاءه فى جده عبد المطلب الذى أعطى حفيده كل قلبه ولكن لم يكد يطمئن إلى هذه الرعاية حتى فجعه الموت فى كافله العظيم بعد أن أوصى به عمه أبا طالب .

مكتبتنا العربية

فكانت حياته عليه السلام قاسية لا استقرار فيها فمن، خيام بنى سعد السوداء إلى دار الأم المتواضعة إلى جنان يثرب إلى بيت جده المريح إلى كنف عمه أبى طالب حيث وجد نفسه فى أسرة تجارية كادحة يؤدى كل عضو فيها لو قصر فيه للحقه الجهد وأدركه شظف العيش وشدته .

مرت أيام الصبا سراعا ومحمد يكبر فى عقله وجسمه ، وأحداث الزمان تزيده فى الدرس والتحصيل وتساعده على تكوينه خير تكوين . ثم أدرك أن عمه أبا طالب رقيق الحال كثير العيال يجهد نفسه إجهاداً مضنيا فى سبيل الحصول على قوتهم .

ولم يكن محمد ذا مال يضعه فى صفوف الأغنياء إذ كل ما تركه له أبوه إنما هو قطيع من الغنم وخمسة من الأبل وجاريته أم أيمن التى حضنته بعد وفاة أمه .

فلعل محمداً اضطر أن يقوم بعمل ؛ وماذا عسى أن يكون هذا العمل لطفل فى سن محمد إلا أن يرعى الغنم لحساب غيره على تلال مكة ؟

الراعى والرعية — أول الحيرة

كان رعيه للغنم من العوامل المهمة التى فتحت فى ذهنه آفاقا شتى للتفكير والتأمل . فأخذ يعلق على كل حركة وهمسة تمر على سمعه وبصره ، واستغرق فى الكون استغراقا عميقا للدرس والتفهم .

. أليست أشعة الشمس تحييه ، ويغمره ضياء القمر ويتصل وجوده بالأفلاك والعوالم جميعا ؟ [لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون] .

وإذا كان نظام التقطيع من الغنم أمام محمد يقتضى انتباهه ويقظته حتى لا يعدو الذئب على شاة منها ، وحتى لا تضل إحداها فى مهامه البادية ؛ فأى انتباه وأية قوة تحفظ على نظام العالم كل أحكامه ؟ . .

وظلت هذه الأفكار تعتمل فى صدره وهو مجد فى البحث عن طريق الهدى

واستمر على إطراقه وتفكيره حتى عرف بين قومه باتجاه جديد فى حياته ؛ فلم تغمره البيئة بتقاليدها ، ولم تطغ عليه العشيرة بعاداتها وطباعها فلم يلاحظ عليه أيام طفولته أنه قلد القائمين على أمره فى تقديس اللات والعزى ، ولا ورث الهيبة التى كانت لهبل فى نفوس قريش . ولم يحدثنا التاريخ أن محمداً حضر موسم الحج منذ عرف أن قومه يعبدون الأصنام ويقدمون لها القرابين فى هذا الموسم من كل عام ، وعرف عنه عليه السلام أنه رفض أكل ما ذبح على النصب .

وبقى نظيفا طاهراً لم يلوث بدنه كما لم تلوث عقيدته ؛ قال عن نفسه [ما عبدت صنما قط . وما شربت خمراً قط ، وما زلت أعرف أن الذى هم عليه كفر]

فلم تحمله ميعة الصبا على معاقرة الخمر ومنادمة الرفاق فى مجالس اللهو التى كانت منتشرة إذ ذاك فى نواحى مكة وطبقاتها المختلفة بل إن اللهو البرىء لم يتخذ طريقه إلى نفس محمد عليه السلام .

والسر فى ذلك أن دور الشباب اقترن عنده بمرحلة التفكير والحيرة ؛ فكان كلما هم بمحاولة المتاع واللهو كما يصنع أقرانه وأهمته أفكار وتأملات ملأت جوانب نفسه ، وشغلت قلبه ، وبدا له البيت العتيق وقد تكدست فى ساحاته المعتمة ثلاثمائة وستون صنما جلبت من أنحاء البلاد لتحظى بالتقديس والعبادة ، فى هذا المكان تبدت سخافة هذا الأمر كله لعين محمد كما يبدو الفجر الوليد ، فكان من المحال أن يوفق بين ما يعتمل فى عقله من أفكار وبين عبادة هذه الأصنام الضخمة . وراح محمد يفكر فلم يجد حلا . وكان كلما قلب الأمر ازداد حيرة وقلقاً ، كل هذا كان بينه وبين نفسه وربه .

أما فيما بينه وبين الناس فكان أفضل قومه مروءة وأكملهم خلقاً وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جواراً وأصدقهم حديثا . وأبعدهم عن الفحش وأعظمهم حلماً وأكثرهم أمانة حتى كان يلقب فيما بينهم بالأمين ، يدعون عنده ودائعهم ويحكمونه فيما شجر بينهم .

عرفته خديجة بنت خويلد الأسدية بهذه الصفات وكانت ذات تجارة واسعة فما كادت تسمع من أبى طالب أنه يرغب فى أن يكون محمد هو الأمين على هذه التجارة حتى وافقته فيما اقترح من أجر قائلة لأبى طالب : لو سألت ذلك لبعيد بغيض لفعلنا فكيف وقد سألته لحبيب قريب ؟

مكتبتنا العربية

وبورك لخديجة فى مالها وتجارتها . وكان الربح الذى لقيته من تجارتها وحسن الطالع الذى رافق محمداً عليه السلام فى رحلته إلى الشام ذا أثر كبير فى تصديق خديجة كل ما بلغها عن محمد من أمانة وصدق ووفاء ومروءة وشهامة ونبل فارتفعت منزلته عندها ثم أيد هـذا المعنى فى نفسها حديث ميسرة غلامها عن محمد وكرم أخلاقه ولين جانبه مما فعل فى قلبها ما يفعل السحر فراحت رغبتها فى التجارة تتضاءل على مر الأيام وبدأت تتمنى فى نفسها أن ترتبط به ارتباطا دائما غير رباط التجارة .

ولقد أحست خديجة لأول مرة أنها تحبه وتتمنى الزواج به فعملت من جانبها على أن يكون هـذا الزواج ؛ وتم لها ما أرادت لأمر يريده الله سبحانه وتعالى من إتمام الخطى التى رسمت فى لوح الغيب لتهيئة محمد بن عبد الله للرسالة العظمى والانتقال بالعالم جميعه إلى حياة أسعد فى الدنيا والآخرة باختيار خديجة زوجا وسنداً له فى أول أمره حتى تثبت فؤاده ؛ وتذهب عنه الوحشة والروع من الطارق الجديد الذى لم يكن يتصوره .

وكان محمد عليه السلام بعد أن تزوج بأم المؤمنين خديجة بنت خويلد قد وجد فى نصيبه من تجارتها ما جعله يزهد فى العمل التجارى . وعاوده التفكير والاطراق للبحث عن الحقيقة التى يرتاح اليها فى مصير هذا العالم .

ومن قبل ذلك كان قد سمع أن قريشاً كانت قد اجتمعت يوما بوادى نخلة لتقديس العزى وتقديم القرابين اليها فخلص منهم أربعة رجال نجيا ، هم زيد بن عمرو ، وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش ، وورقة بن نوفل فقال بعضهم لبعض [تعلموا والله ما قومكم على شىء ، وأنهم لفى ضلال مبين ؛ فما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر . ولا يضر ولا ينفع ومن فوقه يجرى دم النحور ؟ يا قوم التمسوا لكم دينا غير هذا الدين الذى أنتم عليه] .

فكان هذا التدمر من عقلاء قريش مؤيداً لما يجول فى خاطره ويعتمل فى عقله من مقت وكراهة لما عليه قومه . فلم يكن بعد هذا فى حاجة إلى كثير من التأمل ليرى أن ما يباشر قومه من شئون الحياة وما يتقربون به إلى آلهتهم ليس حقا . فما هذه الأصنام التى لا تضر ولا تنفع ولا تخلق ولا ترزق ولا تدفع عن أحد شائلة فمن يصيبه ؟

مكتبتنا العربية

« وهبل واللات والعزى » وكل هـذه الأنصاب والأصنام القائمة فى جوف الكعبة أو حولها لم تخلق يوما ذبابا ولا جادت مكة بخير .

ولكن : أين الحق إذا ؟ أين الحق فى هـذا الكون الفسيح بأرضه وسماواته ونجومه ؟

أهو فى هذه الكواكب المضيئة التى تبعث إلى الناس الدفء والنور ومن عندها ينحدر ماء المطر فيكون للناس ولأهل الأرض كافة من خلائق حياة بالماء والنور والدفء كلا ! فما هذه الكواكب إلا أفلاك كالأرض سواء .

أهو فيما وراء هذه الأفلاك من أثير لا حد له ولا نهاية ؟ ولكن ما الأثير ؟ وما هذه الحياة التى نحيا ثم تنقضى غدا ؟ ما أصلها ما مصدرها وهل بعدها من حياة فيها حساب وعقاب ؟ .

لعل كل ذلك أو مثل هـذه الخواطر كانت تجول فى خاطر محمد وهو ممعن فى أطراقه وتفكيره فيشغله لشدان الحقيقة حتى ينسى نفسه وينسى طعامه وينسى كل ما فى الحياة .

وهو بعد لم تلح له بارقة من أمل فتنير له مفترق الطرق فيختار أكثرها ضياء وأوضحها مسلكا .

وكان كلما اشتد به الوجد لجأ إلى غار حراء ينقطع فيه عن الناس والحياة لعله يستشعر ما يثلج صدره ويطفىء غلته .

كان هذا شأنه فى رمضان من كل عام فإذا فرغ من رمضان عاد إلى خديجة يلقى عندها حمله ، ويتخفف قليلا من عناء الوحدة وسقم الصيام .

ولم يعرف عن رسول الله فى هـذه الفترة طريقة تعبده ولا على أى شرع كان يقوم بالعبادة فى حراء لأنه لم يحدثنا عليه السلام عن نفسه وخطته فى هـذه الفترة ولم يكن معه من يعلم كيف كان يتصل بربه فى ذلك الحين .

أمضى عليه السلام فى هـذه الحال سنوات لم تعرف بعد بالتحديد ولكنها طالت عليه وطال فيها شغله بالحقيقة التى ينشدها وصارت نفسه تسبح فى ملكوت السموات والأرض وتحلق فى الملأ الأعلى عساها تظفر بالسر من مولاها وتهتدى

مكتبتنا العربية

إلى طريق هداها فرجعت روحه من مسارحها العلوية فى جوانب الكون المختلفة وبدا يلوح له الخيط الذى يهديه .

وابتدأت مراحل اليقين من هذا الخيط وكان أول ذلك إحساسه بالراحة النفسيه للطريقة التى كان يسلكها فى التفكير والعبادة وظهر فيض النور يملأ قلبه وينير جوانب نفسه .

ثم صارت صلته بربه تتضح وتتبلج فانتقلت من الراحة النفسية إلى مرحلة أقوى وأروع وهى مرحلة الرؤيا الصادقة .

فصار يرى فى نومه الرؤيا الصادقة تتبلج أمام باصرته بأنوار الحقيقة التى ينشد ويرى معها باطل الحياة وزخرفها .

إذ ذاك آمن أن قومه قد ضلوا سبيل الهدى وان حياتهم الروحية قد أفسدها الخضوع لأوثان وأصنام لاتملك لهم ضراً ولا نفعا وليس فيما يذكر اليهود والنصارى ما ينقذ قومه من ضلالهم .

ولكن ما هى وسائل الانقاذ التى يقدمها إلى قومه حتى يسعد بإنقاذهم مما هم فيه من ضلال إلى الهدى والخير فى دينهم ودنياهم ؟

ولكنه فى انتظار الخطوة التالية من الفيض الإلهى الذى يرشده فيه إلى تفصيل الهدى وتوضيح الطريق الحق للخير والاسعاد .

كانت الخطوة التالية هى الخطوة الكبرى والحد الفاصل بين الحيرة التى انتابته سنوات متتالية وبين اليقين الذى ألقى فى روعه عن طريق الوحى من ربه تلقاه من جبريل عليه السلام بقوله [اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم]

ومن هنا ابتدأ محمد رسول الله أخطر دور فى حياته وفى حياة البشر كافة .

مكتبتنا العربية

في ميدان الجهاد :

لَبَّيْكِ يا مصر

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد
المدرس بكلية اللغة العربية

داعي الجهاد لمجد مصر دعاني ... لبيك أين من الصفوف مكاني
لا يستحق حياته متخلف ... لا يستجيب لدعوة الأوطان
عار على الأحرار في أوطانهم ... أن يخضعوا لمذلة وهوان
دعني أشق إلى الطغاة كتائباً ... صما تدك كتائب الطغيان
لا ساغ ماء النيل يوماً في فمي ... إن لم أطهره من (القرصان)
ابن الجهاد أنا سقاني ورده ... وطن على حب الجهاد نماني
هذا الدم المسفوح من شهدائه ... قد هاج إحساسي وهز كياني
دعني أريق على نوافجه دماً ... بين العروق يثور كالبركان
غضبان يزأر مستشيطاً حانقاً ... متأججاً كمشاعر النيران
ليست تظلل أهلها حرية ... حتى تروى بالنجيع القاني
ودم الضحايا شعلة قدسية ... تذكي فؤاد الخامل الوسنان
إن لا مست قلب الجبان شرارة ... منها غداً من أشجع الشجعان

* * *

قل للطغاة الإنجليز ترصدوا ... للوادعين ترصد الذؤبان
وتنمروا كيف استطعتم واحشدوا ... عند القتال كتائب العدوان
سدوا الفضاء بوارحاً وبوارجاً ... وارموا بكل قذيفة وسنان
واستأسدوا للآمنين ، وفي الوغى ... أنتم نعام كريهة وطعان
وتجهموا لذوي الحقوق وأرعدوا ... وتنكروا للفضل والإحسان
وانسوا لمصر جميلها في موقف ... ضقتم به حرجاً مع الألمان

مكتبتنا العربية

هذى بطولتكم ، وذلك بأسكم ضربت به الامثال فى إيران
صفعتكمو عبدَانها فجلوتموا عنها كأسراب من الجرذان
صولوا كما شئتم فإن مصيركم لليأس والتسليم والخذلان
وليزأر الأسد العجوز بغابكم فزئيره ضرب من الهذيان
إنا غضبنا غضبة مصريّةً خلعت قلوب الأسد فى الغيلان
ولقد عقدنا عزمنا لجلائكم عنا ووحدة مصر والسودان
إيماننا بالحق يفرى بأسكم والحق نعم السيف فى الإيمان
من راح يزهى بالسلاح فإنما أقوى السلاح حراةُ الإيمان

* * *

يا مصر فجر النصر لاح فأبشرى وانشت شمل نواعب الغربان
أم الحضارة أنت يا مهد العلا والمجد أجمع من قديم زمان
قد كنت فى جيد المشارق درة ومنارة للعلم والعرفان
أيام كان الغرب حيران الخطا متخبطا فى ليله المدجان
بعشو إلى أضواء مجدك مدلها يتلمس السارى شعاع أمان
مجد بناه الأولون ثكلتنا إن لم نزد فى ذلك البنيان
وثرى خصيب لأطعمنا خيره إن لم يخضبه دم الشبان
لم تبق فى قوس التجلد منزعاً سبعون فى كبت وفى حرمان
حتى إذا ما ضاق صدرك بالعدا وبدت وعودهمو سراب أمانى
ثارت على الأغلال آساد الحمى ونبت بقيد الذل والأذعان
والصبر فى بعض الأمور تواكل والحلم أحياناً تعلة وان
والحق لا يعطى بذلة طالب لكن ينال بصولة وتفان
ما إن يسيغ الذئب منطق واقع فى الحق من فم وادع الحملان

* * *

يا من دعوتم للسلام بموثق أكدتموه بأغلظ الأيمان
أين السلام وأنتمو حراسه ؟ ونّد السلام ولف فى الأكفان
شيعتموه وكلكم [illegible] بئس المشيع للقتيل . الجانى

مكتبتنا العربية

وبكيتموه بأعين خـــداعة فيها بريق الزور والبهتان
لا تغترر بالسيف فى لمعانه فالفتك كل الفتك فى اللمعان
أو تخدعنك من الصلال ملاسة فالسم تحت ملاسة الثعبان
شر البرية فى الخلائق فاتك تبدو عليه مسحة الرهبان

* * *

دينوا بشرع الغاب فتكا واهدموا بالعلم ما تبنى يد العمران
والووا عن الحق المسالم جيدكم واستسلموا لقيادة الشيطان
الشرق ثار على القيودوهب من نوم ليحطم صولة الأوثان
بعث السلام على يديه فأذنوا منه بحرب للسلام عوان
من صم عن داعى السلام أصمه فى الروع قصف المدفع الرنان
فخذوا من الشرق الهدى وتعلموا خلق الوفاء وخلة العرفان
خلق الشعوب أعز ما تبنى به ملكا وترفع راية السلطان
والنصر للشرق العتيد ، وإنه دان ، وكل مقدر بأوان

المبالاة بالعدو

خرج بعض أهل خراسان على قتيبة بن مسلم ، فأهمه ذلك فقيل له : ما يهمك منهم ! وجه إليهم وكيع بن أبى صرد ، فإنه يكفيكهم . فقال : لا ، إن وكيعاً رجل به كبر يتحاقر أعداءه ، ومن كان هكذا قلت مبالاته بأعدائه ، فلم يحترس منهم ، فيجد عدوه غرة منه .

ومن نصائح على بن أبى طالب فى نهز الحرب : انتهزوا الفرصة فإنها تمر مر السحاب ، ولا تطلبوا أثراً بعد عين .

مكتبتنا العربية

رثـــاء . .

« أبو العيون »

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى

والمنايا رَصَـــدٌ للفتى حيث سلك
كل شيء قاتل حـين تلقى أجلك

إلى جوار الله الكريم مضى الشيخ أبو العيون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وعزيز على وعلى كل أزهرى ، بل على كل مصرى ومسلم أن يبكيك ، فقد عظم مصاب هؤلاء جميعاً فيك . لقد جـل خطب الأزهريين فيك ، فقد كنت مدى حياتك حامل اللواء فى معارك الإصلاح بالأزهر ، والمحامى عنه ، الغيور عليه ، المجاهد فى سبيله بلسانك وقلمك ، ولسانك سيف يثار ، وقلمك سنان نافذ .

لك القـــلم الذى بشباته يصاب من الأمر الكلى والمفاصل

كنت فى تلك المعارك القائد والمفاوض ، لك شجاعة القائد ودهاء المفاوض ، فخالفك النصر فى أكثرها ، ونالك ما ينال القائد فى الميدان ، فما لانت لك قناة وما باليت بتهديد ولا وعيد ، واشتركت فى أكثر الجماعات واللجان التى ألفت لإصلاح الأزهر ، وكان لك فيها الرأى السديد والإشارة النافذة ، وستحتل مكانك فى أكثر من صفحة من تاريخ إصلاحه ، وحملت عبأ فى رسالة الأزهر الدينية ، وحملت أعظم الأعباء فى رسالته الاجتماعية ، وللأزهر كما ترى رسالات فى شتى النواحى ، وكنت أليفاً مألوفاً بطبيعتك ، ومواهبك وتجاربك ، فكنت قريباً إلى نفوس المصلحين ، وذوى الغيرة بمصر وغيرها من الأمم الشرقية ترنوا إليك أبصارهم ، وتتطلع نفوسهم ، ويستصرخونك فتجيبهم ، ويدعونك فتلبى النداء ، فجاهدت فى ميدان الإصلاح الاجتماعى حتى كنت زعيم هذا الميدان ، ورمزاً للجهاد فى سبيل الفضيلة والكرامة ، عرفت بذلك وخصصت به ، لا فى مصر وحدها ، بل فى غيرها من الأمم الإسلامية . ولن ننسى لك ما كنت تستقبل به رؤساء

مكتبتنا العربية

الحكومات من كتب رائعة تذكرهم فيها برعاية الدين والمحافظة على تقاليده ، ووجوب البذل فى النهوض بمعاهده ، والعناية بتدريسه فى المدارس الحكومية ، ولن ننسى لك جهادك ثلاثين عاماً أو تزيد فى محاربة البغاء فى البلاد لدى الحكومات وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، ومكافحته بكل وسيلة ، وقد سخر قوم بدعوتك كما سخر قوم نوح منه ، فما ضعفت ولا يئست ، وتابعت كفاحك ونضالك حتى نصرك الله على أعداءك أعداء الفضيلة ، وكلل جهودك وجهادك بالنجاح ، وأزلت عن مصر الإسلامية ، بل زعيمة الدول الإسلامية أكبر وصمة فى جبينها وجبين الإنسانية عامة ، ولا زال كتابك «مذابح الأعراض» سجل تاريخك ، ورمز جهادك فى هذا السبيل ، ولن ننسى لك ثورتك الصيفية على اختلاط الجنسين فى الشواطىء بالمصايف ، والخروج فيها على تقاليدنا الإسلامية ، حتى كنت الرقيب المهيب ، يخشى رقابتك الحكام والمحكومون على السواء ، ولن ننسى ثورتك على المستهترين بالفضيلة فى الحفلات العامة ، وبخاصة حفلات الطبقة العليا ، لا يرهبك فى هذا الشأن سلطان ولا يثنيك عن محاربتها وعيد ، وأعرف أنك هددت أحياناً بما يمسك فى منصبك ومعاشك ، فما باليت وما هادنت

وجل مصاب الوطن ، وفدحت خسارته فيك ، فلقد كنت فى الرعيل الأول من المجاهدين لحريته واستقلاله ، وجهادك صفحة خالدة فى تاريخك يعرفها المجاهدون الأحرار ويقدرونها لك ويضعونك بها فى الصف الأول من المجاهدين الصادقين . لقد كنت فى طليعة العاملين فى فجر النهضة الوطنية ، عرفتك المنابر العامة فى الأزهر وغيره خطيباً مبرزاً من خطباء الثورة ، واستضافك السجون كما استضافت غيرك من قادة الثورة ومحركيها ، وشاركت فى المظاهرات بشخصك ، وعرضت نفسك للحراب والرصاص . ولقيت ما يلقى الأحرار من نفى وتشريد ، وكسب تجار الوطنية ما كسبوا من مال وجاه ، ولم تكسب إلا ما ادخره الله لأمثالك من المجاهدين المخلصين . وكنت بين الأدباء من مواطنيك أديباً ممتازاً ، واضح الأسلوب مشرق الديباجة ، جزل العبارة تصل إلى غرضك فى لباقة وكياسة ، عفاً فى عبارتك وخصومتك لم تدنس قلمك بما لا ترضى عنه أصول المناظرة وقواعد الآداب . وها هى ذى جولاتك فى مجلات الأدب الراقية ، وأنديته الوفيعة تشهد بطول باعك فى الأدب وتبريزك فى فنونه ، وتضعك فى الطليعة من أدباء العربية ، ولن ننسى لك

مكتبتنا العربية

جزالة أسلوبك وقوة روحك وشخصيتك فى مؤلفاتك التاريخية لطلاب المعاهد الدينية ، وفى مقالاتك بمجلة الأزهر والهلال وغيرهما من المجلات الراقية ذات الطابع الأدبى الخاص .

أما علاقتك بأصدقائك وبالناس عامة فقد كان لك فيها منهج خاص ، كان لك مع رؤسائك ومرءوسيك منهج يسوده التسامح والرفق ، وكنت تعتقد أنهما أهم ما يعتمد عليه الرئيس فى حل مشكلاته وأنجح الوسائل لسرعة القضاء فيها ويسوءك أنه يبدو الرئيس متفطرساً متعالياً ، بل كنت ومن معك من الموظفين كبيرهم وصغيرهم ، هدفك إنجاز الأمور وتيسير الأعمال ، وما كنت تقيم لما يقيم له غيرك من الشكليات وزناً ، فظللت محبوباً من الجميع فى كل أمر وليته يذكر لك هذا النهج إخوانك من العلماء وغيرهم فى المعاهد التى توليت شئونها ، وفى الإدارة العامة للأزهر ويروون لك اللطائف والطرائف فى حسن المعاملة ،ورقة المعاشرة . حدثنى أحد الإخوان أن جفوة وقعت بينك وبين موظف من مرءوسيك ولفتك إليها بعض إخوانك ، فما لبثت حتى أسرعت إليه فى مكتبه فصافيته وأزلت جفوته وشكر لك سعيك كل من ترامى إليهم هذا الصنيع من موظفى الديوان .

وهكذا كان منهجك فى المعاملة مع من عرفت ، وما أكثر من عرفت وعرفوك وعقدت بينك وبينهم أواصر المعرفة والصداقة ، حتى كان لك بكل طبقة صداقة تقوم على أساس قوى من الود والتقدير ، وكان من رواد مكتبك ومنزلك العالم والأديب والسياسى والتاجر والفلاح يبادلونك الرأى فى مشكلاتهم ، ولا يتحرجون ثقة بخالص نصحك . وسديد رأيك ووافر أمانتك ، وكنت فى السر ملاذ البائسين وطلاب الحاجات يستعينون بما وهبك الله من جاه وما كنت به ضنينا .

هذه لمحات من سيرتك العطرة وسيرتك سجل حافل بالمآثر سيذكرها لك التاريخ وسيكشف مرور الزمن منها ما كان خافيا شأنه مع عظماء الرجال تنكر آثارهم أحياء وتقدر وتشكر أمواتا على أنك قد أنصفت سريعا أيها الراحل الكريم فقد وفى لك الشعب ، وقدر عظم المصاب بفقدك وقدر لك أعمالك وأفضالك ، فاحتشد لتكريمك وتشييع جثمانك بسائر طبقاته وما كان دافعه الى ذلك إلا الوفاء وحسن التقدير وشارك مصر الحبيبة كل أقطار الأمم الإسلامية .

وإذا بكاك الشعب فإنما يبكى فيك مجاهدا من قدماء المجاهدين الذين قام على جهادهم أساس نهضته وأورقت بجهودهم شجرة حريته وهو اليوم أحوج ما يكون الى القادة والجنود ليكتبوا الفصل الأخير فى كتاب مجده وتحريره .

وإذا بكاك الأزهر فإنما يبكى فيك علما من أعلامه وقطبا من أقطابه كان يسفر له فى جهات كثيرة على الأزهر أن يكون له فى كل منها من يمثله ويرنو ببصره الى من يسد الفراغ وعسى أن يظفر به ، وإذا بكتك أسرة مجلة الأزهر فإنما تبكى بفقدك المشرف الوقور والربان الماهر الذى جنبها بكياسته وسياسته الأعاصير ووجهها وجهة الخير فى أداء رسالتها ، وتبكى كاتبا من أعلام كتابها وأندادهم صوتا وأهداهم الى مواطن الأدواء وأعرفهم بوسائل العلاج .

رحمك الله يا أبا العيون ، وعوض الله فيك الأزهر والإسلام ، وأنزلك منازل الأبرار من جناته مع الصديقين والشهداء والصالحين ؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عدل الولاة

قال ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة قال : استعمل ابن عامر عمرو بن عروة أصبغ على الأهواز ، فلما عزله قال له : ما جئت به ؟ قال له : ما معى إلا مائة درهم وأثواب . قال ابن عامر : كيف ذلك ؟ قال أصبغ : أرسلتنى إلى بلد أهله رجلان : رجل له مالى وعليه ما على ، ورجل له ذمة الله ورسوله . فوالله ما دريت أين أضع يدى . فأعطاه ابن عامر عشرين ألفا مكافأة له على أمانته .

وقال معاوية : إنى لا أستحيى أن أظلم من لا يجد علىّ ناصرا إلا الله .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الظلم ظلمات يوم القيامة » .

مكتبتنا العربية

الشيخ أبو العيون

ألقيت فى الازهر الشريف يوم وفاته رحمة الله عليه

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

شيعوا كواكب النقى والرشاد ... وطووا راية الهدى والجهاد
حين قالوا : ابو العيون تردى ... فجعت أعين العلا فى السواد
قائد مات ، والبلاد جنود ... ثائرات ، ترنو إلى القواد
حرة تنشد الحياة ، وتدعو ... من بنيها ، بكل حر مفادى

* * *

يا قريع الخطوب فى كل هول ... يا لواء الكفاح فى كل عادى
كيف طاح اللواء ، قل لى ، متى طحـ ... ـت ، وما طحت فى زحام الجلاد
كم تدرعته عزيزاً كريما ... خضبت وجهه دماء الأعادى
واقتحمت الصفوف تزخر بالمو ... ت ، مشيحا ، تصيح . تحيا بلادى
فى الرعيل السباق من حاملى العـ ... ـبء ، ومن كل أريحى جواد
نزلت مصر منهمو فى السويدا ... ء ، فهزت نفوسهم للطراد
رفعوا راية الجهاد وهبوا ... حين نادى الجهاد كالآساد
لا يبالون بالحديد وبالنا ... ر ، وبالموت ، فى سبيل المراد

* * *

لهف نفسى عليك ، فارقت مرما ... ك ، إلى غير رجعة أو معاد
الهدى والجهاد فى يوم منعا ... ك ، توارى سناهما فى الحداد
فعزاء لمصر فيـك ، إذا أغـ ... ـنى عزاء لدى الكبود الصوادى
وسلام عليك من [illegible] ... ، محيا ، من عترة أمجاد

مكتبتنا العربية

زفرة الشعر

على فقيد مصر والاسلام « أبو العيون »

لفضيلة الأستاذ الشيخ رياض هلال

المدرس بكلية اللغة العربية

على مثله فليبك من كان باكيا ... ومن هو أولى بالدموع هواميا؟

دهاه الردى والنيل يرنو تطلعا ... إليه فيلفيه على الأرض جاثيا

سل الثورة الكبرى فكم خاض نارها ... ومستديداً للموت أحمر قانيا

وسل منبر (المعمور) عن خطب له ... دعت مصر للجلى فدكت رواسيا

وسل ظلمات السجن عن خير زائر ... قضى دهره في السجن جذلان راضيا

وسل ثورة الاصلاح عن كلم له ... دعت وهدت للخير من كان آبيا

مواقف لن يمحى مدى الدهر ذكرها ... ولسن على مر الزمان خوافيا

عرفناه سباقا إلى كل غاية ... أخاهمة شماء تدنى الأقاصيا

له صولة في الحق كالرعد صاخبا ... وكالسيف بتاراً وكالليث ضاريا

وكان لدين الله خير مناصر ... فكم ذاد عنه كل يوم أعاديا

تطالع منه حين تلقاه بسمة ... تريك سنا القلب الكبير مناديا

وترتع منه في خلال حميدة ... يحوطك منه العطف والبر حانيا

كأني إذا أرعيت سمعي بيانه ... أنمق في طاق من الزهر جانيا

أنست به دهراً فأشربت حبه ... وألفيت منه الفضل والنبل ساميا

وفاء ، وفهم للحياة ، وفطنة ... له الرأي في ليل الحوادث هاديا

تحمل عني البشر إذ قيل قد قضى ... وآجفل مني العقل إذ خر ثاويا

مضى ونفوس القوم ترأم نعشه ... وترمقه الآمال حسرى عوانيا

وخلفنا في ليلة نابغية ... (كأن على الأعناق فيها أفاعيا)

ونهنهت دمعي أن يكف فلم يزد ... على أن توالى هامياً من شئونيا

سألت إلهي أن يجود ترابه ... سحائب تزجيها الرياح غواديا

تهنأ ، أبا العيون ، وامرح بجنة ... ونم في جوار الله تنعم هانيا

رسالتك الكبرى وفيت بحقها ... وكنت شجاعا في جهادك غاليا

بكيت وما يجدي البكاء على امرىء؟ ... بنفسي من ودعت أسوان باكيا

مكتبتنا العربية

فى جنازة البطل الشهيد

أستاذنا (أبو العيون)

لفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد شفيع السيد

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

طويت صحيفة عالم موهوب ... قاد الطلائع وهو غير هيوب
ومجاهد فى الله حق جهاده ... لم يخش من سجن ولا تعذيب
الثورة الكبرى ذكت نيرانها ... بيراعه وبيانه المشبوب
فلو استمعت اليه فى عزائها ... لرأيت أى مناضل وخطيب
كم ذا يجلجل صوته فيهزنا ... كالعاصفات تهز كل قضيب
وتخالها من عجب نمير بيانه ... ناراً تلظى فى نهى وقلوب
فى كل مجتمع وكل صحيفة ... ذوب البراعة من بنان أريب

****

هو واحد حرس الفضيلة جاهدا ... لم يلف من ندٍّ له وضريب
يا مذكى العزمات فى أبنائه ... ومواصل الارشاد بالتهذيب
مترفقا فى كل ما يبديه من ... نصح بلا لوم ولا تثريب
وشعاره (فى حكمة) لا تغضبن ... لكنه للحق جد غضوب
فى كل ناحية ترى آثاره ... كالغيث شؤبوبا على شؤبوب
أوفى على السبعين وهو مجاهد ... بذ الشباب بعزمة ودءوب
الدين أول تاكل بمكافح ... قد كان عدته لكل عصيب
لو كان فى الأعلام مثلك داعياً ... هان المصاب لتاكل محروب

****

يا من رأى بطل الجلاد مجندلا ... فى غير ميدان وغير حروب
واها لحدثان الحياة فإنه ... يأتى من الأهوال كل غريب
يا يوم نعى ، أبى العيون ، تركتنا ... ريع النهار بحالك غربيب
فالليل ممدود الرواق مخيم ... والصبح آدن ضوءه بمغيب
وترى العناديل أمسكت لهواتها ... شجناً وللغربان شرنعيب
لله أى شهادة كتبت له ... حين الجهاد فنال خير نصيب
أدى رسالة ربه حتى إذا ... هتف الحمام أجاب خير مجيب
... عليك أيها ... بالشمس لكن غير ذات غروب

مكتبتنا العربية

رثـــاء

فقيد الازهر والشرق

فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ « محمود أبو العيون »

لفضيلة الأستاذ الشيخ الساعى الشناوى

المراقب بكلية الشريعة

فريداً كنت فى نهج الحياة ... كذلك كنت فى جلل المهمات
تحديث الحوادث غادرات ... إلى أن رحت نهب الحادثات
وخضت من المعارك داميات ... فكنت غضنفراً صلب القناة
وكنت إذا ادلهم الخطب شمساً ... تنير لنا دياجير الحياة
نفخت الروح فى الأشبال حتى ... رأيناهم أسوداً ضاريات
إذا ذكر الجهاد ذكرت فرداً ... يقود الشعب فى كل الجهات
خطيب هز فى الوادى شعوراً ... فأيقظهم وكانوا فى سبات
فلم يرهب للاستعمار بطشاً ... ولم يخش المعاقل موحشات
وما لانت له أبداً قناة ... ولم ترعبه أهوال الطغاة

* * *

بعثت رسائل الإصلاح تترى ... فألغيت « الخنا والساقطات »
وكانت وصمة بجبين مصر ... فأضحت مصر خير الطاهرات
فيالك مصلحاً فذاً تقياً ... ويالك فى النصائح والعظات
رفعت الأزهر المعمور حتى ... تبوأ منزلا فى النيرات
وكم لك صيحة دوت فكانت ... فخار الأزهريين الأباة

* * *

لنعيك غاض ماء النيل حزناً ... وغاض معين دجلة والفرات
وروعت العروبة فى نهاها ... وربع الشرق فى نخر اللدات
طواك الموت أحوج ما نكون ... إليك فأنت رمز التضحيات
ولو كان الفداء يفيد كنا ... فدينا بالألوف وبالمئات
عليك سحائب الرضوان تهمى ... وفى الفردوس يا خير الهداة

مكتبتنا العربية

الأزهريون أساتذة شعراء العصر

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد كامل الفقى

المدرس بكلية اللغة العربية

— ٣ —

لم نكن لنؤيد هـــذه الدعوى معتسفين فى الدليل ، ولا مبالغين فى الفهم والاستنباط ، ولا مستوحين عصبية لمعهد أشرق فى عقولنا وقلوبنا ، ولكنا توخينا دقة البحث ، ونزاهة المنحى ، وقد سقنا فيما نؤيد به هـذه القضية حديثا عن صلة « البارودى » الشاعر الفحل ، « بالمرصفى » العالم الأديب الناقد ، وأثبتنا أن الشيخ حسين المرصفى وجه البارودى وعلمه ، وهداه وأخـذ بيده حتى صح أن يكون هدية منه .

ونحن فى مقالنا هذا نسوق حلقة جديدة بهذا الصدد نكشف فيها القناع عن صلة زعيم الشعراء المغفور له أحمد شوقى بك بمن هو كالأستاذ له من علماء الأزهر وأدبائه ، وهو المرحوم الشيخ محمد البسيونى .

(٣) الشيخ البسيونى وشوقى :

وقبل أن نتكلم عن انتفاع أميرالشعراء « أحمد شوقى بك » ، والأخذ من بعض أساتذته نقدم بكلمة عن « الشيخ محمد البسيونى » أستاذه فإن الحديث يدور عليه .

من هو البسيونى ؟ الشيخ محمد البسيونى البيبانى ، ينسب إلى « بيبان » قرية من قرى البحيرة ، ولد بها فى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى تقريبا ، وبعد أن حفظ القرآن أشخص إلى القاهرة لطلب العلم فى الأزهر ، وما أن استقر به المقام بين جدرانه حتى طفق يدرس على أساتذته مختلف العلوم العقلية والنقلية ، ولازم شيوخه بالأزهر سنين يقرأ عليهم أمهات الكتب فى الفنون التى كانت تدرس

مكتبتنا العربية

فكان معدوداً من جلة الأساتذة . وامتاز الشيخ بنوع خاص فى دراسة العلوم العربية ، فكانت له طريقة لم تكن معهودة فى ذلك العصر ، إذ يعمد إلى جوهر الموضوع فيبرزه فى أبهى حلة ، ويجليه للطلاب غاية التجلية ، باحثاً فى سره دون التعرض للضجة اللفظية ولغط الكاتبين .

وقد ظهر أثر هذه الطريقة فى كتابه « حسن الصنيع » الذى ألفه فى المعانى والبيان والبديع ، وكتبه بأسلوب أدبى رقيق ، وجاوزت شهرته العلمية والأدبية المحيط الأزهرى إلى أفق غير الأزهر فأسندت اليه « نظارة المعارف » تدريس علوم اللغة العربية بالمدرسة التجهيزية « الخديوية » .

واختاره الجالس على العرش « الخديو توفيق » إماما لحضرته ومدرساً لأنجاله فقام بما عهد إليه خير قيام .

ثم أسند إليه مع عمله هذا تدريس اللغة العربية بمدرسة الإدارة التى سميت فيما بعد « مدرسة الحقوق » وكان من بين تلامذته النابهين فى هذه المدرسة المرحوم « أحمد زكى » والمرحوم « أحمد شوقى » وكان يدرس علوم البلاغة لأمثال هؤلاء .

ثم عين الشيخ « البسيونى » مفتياً للمعية السنية وظل فى وظيفته هذه إلى أن جاور ربه فى ليلة الخميس ١٣ من ربيع الآخر سنة ١٣١٠ هـ الموافقة ٣ من نوفمبر سنة ١٨٩٢ م فى عهد الخديو عباس الثانى رحمه الله تعالى .

شعره والعوامل المحيطة به :

فى أثناء هذه الحقبة التى قضاها « البسيونى » فى خدمة بيت الملك كان يقرض الشعر فى مدح الخديوى كلما حل موسم أو أهل عيد ، أو بدت فرصة ، وقلما نظم الشعر فى غير هذه الأغراض .

ولم يكن من الميسور له وهو من رجال الملك وخلصائه أن يتعرض فى شعره إلى السياسة إلا بقدر يسير جدا ، كما لم يكن من المستطاع له وهو من رجال الدين أن يتحدث إلا قليلا عن اللهو والخمر والنساء وما لا يتفق مع جلال الدين ووقار العلم ، لذلك جاء شعره محدود الغرض يدور فى أفق ضيق ومدى قريب . فلم نعثر

مكتبتنا العربية

له على شعر إلا فى المدائح والتهانى وغيرها مما تنشره له الوقائع المصرية مما كان يزجيه لصاحب العرش .

وفيما وقفنا عليه قصيدة يهنئ بها الخديوى « توفيق » بعودته من الاسكندرية إلى العاصمة بعد إخفاق الثورة العرابية ووقوع الثوار فى قبضته .

وفى هذه القصيدة يؤرخ العودة بسنة (١٢٩٩) هجرية ، ويضفى على وليه حللا من الثناء ، ثم يعرض إلى الثوار فينال منهم ، ويسفه أحلامهم ، وإلى الثورة فيصف مآسيها وشرها ، وأخيراً يكل أمر هؤلاء الخارجين على طاعة ولى الأمر فى أسلوب جيد بالنسبة لعصره ، ويقول فى مطلعها :

رجوعك يا توفيق مصر هناؤها ... وشمس بهاها دائما وضياؤها
فأنت خديويها ، وأنت مليكها ... وأنت لها من كل سقم شفاؤها
وأنت لها حصن على رغم حسّد ... وأنت لها بدر وأنت سماؤها
وما هى إلا روضة وفكاهة ... وما أنت إلا حسنها وازدهاؤها
وأنت لها إنسان عين حياتها ... ولولا تلافيها لخيف عناؤها
وما هى إلا جثة أنت روحها ... وما أنت إلا مجدها وعلاؤها
وما مثلها إلا لملك ينتمى ... فيسمو بها بين الأنام انتماؤها
لبعدك كم قاست لعمرى شدائدا ... فأفضت إلى أن تستباح دماؤها
ولولا تلافيها لأصبح تالفاً ... بقية أهليها وعز نماؤها
وأضحت لأرواح الرياح ملاعبا ... وما طاب فيها للمقيم هواؤها

ومنها :

على عصبته البهتان لا تأس إذ هوى ... بها فى مهاوى الموبقات افتراؤها
فقد خلعت ثوب النجاة مذ اكتست ... ثياب الردى جهلا وبئس اكتساؤها
وحيث أبت إلا هواها سفاهة ... وساق لها الأخذ الوبيل شقاؤها
رأيت لها رأى الملوك فأصبحت ... وقد ساءها إصباحها ومساؤها
فإن شئت أعلمها [illegible] ... فذاك بتاها لو تشاء فناؤها

مكتبتنا العربية

شوقى ثمرة البسيونى

حين تولى الشيخ البسيونى تدريس اللغة العربية بمدرسة الإدارة (الحقوق) كان من بين تلامذتها أحمد شوقى (بك) وأحمد زكى (باشا) كما قلنا فانتفعا بعلمه ، واغتذيا بثقافته ، وتفطن الأستاذ إلى الموهبة الشابة فى نفس شوقى فأقبل عليها بالتوجيه ، ويحدثنا أحمد زكى باشا فى حفل تأبين شوقى الذى أقامته وزارة المعارف فى ديسمبر سنة ١٩٣٢ م بأن الشيخ البسيونى أستاذهما فى فنون البلاغة وكان لا تخطئه النكتة البارعة اللاذعة ، أو الساخرة الساخرة ، وما لبث أن رأى فى تلميذه شوقى بواكير العبقرية ، وبوادر المواهب الربانية فأنشأ يعرض قصائده على تلميذه قبل أن يرسلها إلى المعية السنية ، وإلى جريدة الوقائع المصرية ، وغيرها من الصحف العربية ، وكان شوقى ببساطة التلميذ الناشئ يشير بمحو هذه الكلمة ، وتصحيح تلك القافية ، وحذف هذا البيت ، وتعديل ذياك الشطر ، والأستاذ يغتبط بقوله ، وينزل على رأيه .

ويقول أحمد زكى باشا : وأحسن ما أذكر لأستاذى البسيونى رحمه الله : أنه كان يتحدث بذلك إلينا وإلى الفرق المتقدمة علينا (وفيها أصحاب السعادة عثمان باشا مرتضى ، وأبو بكر يحيى باشا ، وعلى ثاقب باشا ، وشاكر بك أحمد) دون أن تأخذه العزة بالإثم ، وأن يغريه الكبرياء اللازم للمدرس بإنكار الفضل الذى منحه الله للدارس . فهذه أول سعادة أحرزها « شوقى » .

أجل هذه أول سعادة أحرزها ، فما من شك فى أن إقبال الشيخ البسيونى على شوقى وتنزله معه إلى هذا الحد قد ملأ نفسه بشاعريته ، وإيمانا بموهبته ، وكان أول ما أخذ بيده إلى النهوض وشجعه على المضى فى سبيل مجده صعدا ، فما شىء يدنى الأمل من نفس التلميذ ، ويوطىء له أسباب المجد والسعادة ، مثلما تفعله رعاية أستاذه البار الكريم ، الطيب النفس ، النزيه المسلك ، الخبير بأسلوب التربية وطرق التشجيع .

على أن الأستاذ البسيونى تحدث بهذا النبوغ الباكر إلى صاحب العرش ، وأفهمه أن بين أثواب هذا الفتى الناشىء براعة نادرة وذكاء فذا ، وأنه خليق

مكتبتنا العربية

هدى الاسلام فى اصلاح ذات البين

لفضيلة الأستاذ الشيخ المنشاوى عبود الخولى

المدرس بمعهد القاهرة

كما تعرض للأجسام العلل والأسقام فتمس الحاجة إلى طبيب فاحص يشخص الداء ويصف العلاج الحاسم الذى يجتث جذور المرض ويستأصل شأفته . ويصرعه فى مهده قبل أن يزعج أثره ويشتد خطره . كذلك ينتاب الصلات والروابط الوهن والانحلال . وهذا هو المعول الهدام لبناء الأسر والجماعات الذى يقوض دعائمها ويأتى على صرحها من القواعد فيجعله أنقاضا . فهو أسرع فتكاد أقسى فجيعة من مرض الأجسام . لذا كانت الصلات المريضة أحق بالرعاية الفائقة والعلاج الناجع الذى يرسمه أطباء القلوب لإنقاذها من مخالب الفتنة . وصيانتها من نار

بالرعاية العالية ليكون زهرة يتضوع شذاها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وكانت هذه الشهادة من أكبر الأسباب التى حفزت الخديو « توفيق » فى سنة ١٨٨٧ م إلى إيفاد شوقى إلى باريس ليتم دراسته العلمية على نفقته الخاصة ، ولتتغذى مواهبه بروائع الغرب وبدائعه ، وقد تحققت به وفيه الآمال فكانت هذه ثانية السعادات .

ومن هنا نرى أن الأزهر ممثلا فى شخص الأستاذ البسيونى هو الذى كشف عن هذه القوة الكامنة فى نفس شوقى وهو الذى تهدى بشاعرية أحد أبنائه وفراسته إلى عبقرية أمير الشعراء فوجهها التوجيه الصالح ، وتعهدها حتى نمت وأزهرت ، وأنبتت نباتا حسنا وأثمرت ثمرا لا يفنى ولا يبيد ، وجميل حقا أن يتفطن شيخ أزهرى لم ير مفاتن الغرب ، ولم يكتمل بمشاهده ومجاليه . إلى ما يجب لشوقى أن يطلع عليه من روائع باريس وحضارتها ، ومباهجها ومفاتنها . فيشير على ولى الأمر بإرساله إليها ليتسع أفقه ويخصب خياله ، ويمتلىء ناظره بأسباب القول ودواعى الشعر .

فلا عجب إذن أن يكون شوقى أمير الشعراء من أفق الأزهر ، وثمرة من ثماره أو فكرة من أفكاره .

مكتبتنا العربية

هدى الاسلام فى اصلاح ذات البين

لفضيلة الأستاذ الشيخ المنشاوى عبود الخولى

المدرس بمعهد القاهرة

كما تعرض للأجسام العلل والأسقام فتمس الحاجة إلى طبيب فاحص يشخص الداء ويصف العلاج الحاسم الذى يجتث جذور المرض ويستأصل شأفته . ويصرعه فى مهده قبل أن يزعج أثره ويشتد خطره . كذلك ينتاب الصلات والروابط الوهن والانحلال . وهذا هو المعول الهدام لبناء الأسر والجماعات الذى يقوض دعائمها ويأتى على صرحها من القواعد فيجعله أنقاضا . فهو أسرع فتكاد أقسى فجيعة من مرض الأجسام . لذا كانت الصلات المريضة أحق بالرعاية الفائقة والعلاج الناجع الذى يرسمه أطباء القلوب لإنقاذها من مخالب الفتنة . وصيانتها من نار

بالرعاية العالية ليكون زهرة يتضوع شذاها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وكانت هذه الشهادة من أكبر الأسباب التى حفزت الخديو « توفيق » فى سنة ١٨٨٧ م إلى إيفاد شوقى إلى باريس ليتم دراسته العلمية على نفقته الخاصة ، ولتتغذى مواهبه بروائع الغرب وبدائعه ، وقد تحققت به وفيه الآمال فكانت هذه ثانية السعادات .

ومن هنا نرى أن الأزهر ممثلا فى شخص الأستاذ البسيونى هو الذى كشف عن هذه القوة الكامنة فى نفس شوقى وهو الذى تهدى بشاعرية أحد أبنائه وفراسته إلى عبقرية أمير الشعراء فوجهها التوجيه الصالح ، وتعهدها حتى نمت وأزهرت ، وأنبتت نباتا حسنا وأثمرت ثمرا لا يفنى ولا يبيد ، وجميل حقا أن يتفطن شيخ أزهرى لم ير مفاتن الغرب ، ولم يكتمل بمشاهده ومجاليه . إلى ما يجب لشوقى أن يطلع عليه من روائع باريس وحضارتها ، ومباهجها ومفاتنها . فيشير على ولى الأمر بإرساله إليها ليتسع أفقه ويخصب خياله ، ويمتلىء ناظره بأسباب القول ودواعى الشعر .

فلا عجب إذن أن يكون شوقى أمير الشعراء من أفق الأزهر ، وثمرة من ثماره أو فكرة من أفكاره .

مكتبتنا العربية

العداوة . وتطهير النفوس من الأحقاد المثيرة . والضغائن المدمية والقضاء على أسباب الفرقة والانقسام . وغرس بذور المودة والوئام لترجع للأواصر قوتها وللأخوة توقفها.

ولما كان الإسلام هو دين البشرية الخالد والترياق الشافى من أمراضها الاجتماعية فقد عنى بإصلاح ذات البين عناية لم تظفر بها فى تشريع ما . فسن لها قانونا حازما لو أقيم على وجهه الصحيح لجعل من الناس كافة أمة واحدة متماسكة العرا رفيعة الذرا . بل جسما واحدا تتعاون أعضاؤه فى توفير قوته وهنائه :

كفل الإسلام هذا الخلق القيم فى مراحله المختلفة فتعهده فى الأسرة بين الزوجين . وتعهده فى نزاع الأقارب . وأوصى به فى الخصومة بين طائفتين من المؤمنين . وحث عليه عند الشقاق وبين جماعتين من الناس مطلقا أيا كان شعارهم الدينى .

الصلح فى الأسرة : وجه الإسلام اهتماما بالغا إلى إصلاح ذات البين فى الأسرة لأنها لبنة فى بناء الأمة . فما الأمة إلا مجموعة من الأسر فإذا كانت متماسكة متناصرة استمدت الأمة من ذلك بأسها وسلطانها وهيبتها فى نفوس أعدائها وإن كانت متنازعة متخاذلة تراءت هذه الأشباح فى مرآتها فبدت تلك الأمة هزيلة خانعة ذهبت ريحها وانكمش سلطانها وهان أمرها على أقرانها وعندئذ تخط قبرها بيدها . وتقذف بنفسها فى هاوية الذل والدمار . ولذا أمر الإسلام بالإصلاح بين الزوجين ووضع لذلك خطة رشيدة لو استوى المصلحون على صراطها لظفروا بالتوفيق فى مهمتهم فحسموا مادة النزاع وأعادوا للحياة الزوجية صفاءها وبهجتها . قال جلت حكمته (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا) .

أرأيت أسرع فى تحقيق هذه الغاية السامية من الوصية بجعل الصلح بين الزوجين عن طريق الحكمين من أرقاربهما ؟

إنما كان مباشرة الأقارب له أتم وأكمل لأنهم أعرف بخبايا الأمور . وأحرص على إزالة الشحناء . وللزوجين ثقة بهم . وإذا وجدت الثقة انفتح باب الأمل فى الوئام والوفاق أضف إلى ذلك أن الله تعالى ملأ قلب الحكمين مراقبة له وخشية منه فبين لهما أنه إن صلحت نيتهما بإرادة الخير تبع ذلك حتما التوفيق بين الزوجين . وإن لم يتم التوفيق كان هذا أمارة على عدم إخلاص الحكمين فى مهمتهما وخبث طويتهما وخيانتهما للأمانة التى فى أعناقهما .

مكتبتنا العربية

فهل سمع الناس بمثل هـذا فى إذكاء روح الحماس عند المصلحين وحفزهم إلى التفانى فى القيام بواجبهم ؟

الصلح بين المؤمنين : قال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)

وكم حض الإسلام أقارب الزوجين على الصلح بينهما أشعر المومنين عامة أنهم بعد أن استظلوا بلواء الإسلام قد أصبحوا بنعمة الله إخوانا . وأن بينهم من الروابط ما يفوق قرابة النسب قوة وإحكاما . فأهاب بهم إذا وقع نزاع بين طائفتين من المؤمنين أن يبادروا إلى الصلح بينهما . فإن أسرفت إحداهما فى الخصومة والعدوان فعلينا أن نقاتلها حتى ترجع إلى صوابها وتسكن إلى ما أمر الله به من الصلح وإخماد نزعة الفساد وبعد ذلك نصلح بينهما بالقسطاس المستقيم لايدفعنا حب طائفة إلى محاباتها ولا يحملنا شنآنها على ظلمها . وبذا نظفر بما وعد الله به المقسطين من محبة وأجر جزيل وتشريف ومقام كريم . ورحمة سابغة وفضل عميم . وما نال المصلحون هذا كله إلا لأنهم بذلوا جهدهم فى إطفاء نار العداوة بين المتخاصمين وإقامة صلح كان بردا وسلاما على قلوبهم . فرحموهم من فتنة تسرى فى الصلات سريان النار فى الهشيم . لهذا كان المقسطون جديرين بجزاء من جنس عملهم قال عليه الصلاة والسلام (وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)

الصلح بين الناس مطلقا : قال الله تعالى (لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس . ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما) .

لما كان الإسلام رحمة مهداة إلى البشر جميعا لا فرق فى ذلك بين من انضوى تحت لوائه ، ومن حرم شرف الانتساب إليه حث أتباعه عل أن ينهضوا للإصلاح عند النزاع بين جماعتين من الناس أيا كان لونهم الدينى إنقاذاً للإنسانية ، وحرصاً على إسعادها وهناءتها . ولا يقع هذا الصنيع من الله موقع القبول إذا كان الباعث عليه طلب السمعة الزائفة والرياء الأثيم فيلزم أن يكون احتساباً لوجه الله الكريم

مكتبتنا العربية

وتوسلا إلى رحمته بالإحسان فى طاعته حيث قال عظمت منته « إن رحمة الله قريب من المحسنين » .

وهذا النوع من الصلح ، رفع الله به قدر المسلمين وأعلى شأنهم ، إذ مكن لهم فى الأرض وشرفهم بالخلافة عنه والولاية على عباده جميعاً يبشرون بينهم السلام الدائم والصفاء الشامل فتمت عليهم كلمة ربك الحسنى بما أصلحوا وأنجز لهم وعده الكريم الوارد فى قوله « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » . لم يقف أمر الإسلام فى علاج النزاع عند هذا الحد ، بل سلك أساليب أخرى تسرع بتطهير النفوس من أدرانه ، ونجمل ذلك فيما يأتى :

(١) وجه المسلمين إلى عناية بعضهم ببعض وبين لهم أن الاشتغال بالصلح أحمد عاقبة عند الله . وأجزل ثواباً من الصيام والصلاة والصدقة . وذلك لأن الإصلاح حماية للعداوة والأخلاق من أن تلتهمها نار العداوة والشقاق . روى أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله . قال : إصلاح ذات البين . وفساد ذات البين الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) .

(٢) حرم الكذب فى جميع الحالات وأباحه للقائم بالإصلاح وجعله مثاباً على صنعه لأنه قصد جمع القلوب . ووصل ما أمر الله به أن يوصل . روى البخارى وأبو داود عن أم كلثوم بنت عقبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمى خيراً) .

(٣) ذم الفاجر فى خصومته وجعل ذلك آية النفاق ، وأخبر بأن المسرف فى الخصومة المكثر منها أكثر الناس تعرضاً لمقت الله وسخطه . روى الشيخان والنسائى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أبغض الرجال إلى الله الألد [1] الخصم [2]) .

(٤) مدح العفو عن المسىء وتفضل تعالى بإيجاب حق عليه للعافى يقدمه إليه يوم الجزاء على رءوس الأشهاد تكريماً له وتشريفاً . فقد روى أن النبى عليه

(١) الألد : شديد الخصومة . (٢) الخصومة : كثير الخصومة .

مكتبتنا العربية

الصلاة والسلام قال : (إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل الله من كان له حق على الله فليقم فلا يقوم إلا إنسان عفا) .

وأورع من هذا ما أرشد إليه الدين من مقابلة الإساءة بالإحسان كى يتحول العنيف فى خصومته إلى وفى لصداقته « إدفع بالتى هى أحسن السيئة فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . هذا ولم يقتصر منهج الإسلام فى موضوع النزاع على علاجه ، بل لجأ أيضاً إلى الوقاية منه ، فحرم اقتراف الأسباب التى يترتب عليها منعاً لوقوعه وسموا بالعلاقات من أن يدنو منها شبحه البغيض وإليك الأمثلة :

أولا : بالغ الرسول عليه الصلاة والسلام فى الوصية بترك الغضب ، وحكم بأن خير الرجال من كان بطىء الغضب سريع الرضا . وشر الرجال من كان سريع الغضب بطىء الرضا .

ثانياً : حرم ظلم الإنسان لغيره لأنه لا شىء يثير الحفائظ ويبعث الحزازات كانتقاص الحقوق والاعتداء على الحريات .

ثالثاً : حذر من النميمة ولو كان ما يقال صدقا وأخبر بأن أبواب الجنة موصدة فى وجه النمام ، ونهى عن الاستماع إلى الوشاية خيفة أن تعكر سماء المودة . روى عن الرسول الحكيم صلوات الله وسلامه عليه أنه قال (لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) إلى غير ذلك من الوصايا الحازمة والتوجيهات الرائعة .

أيها المسلمون : هذه تعاليم دينكم الذى تنسبون إليه ، ولكن يحز فى نفسى وفى نفس كل غيور أنى أجد المسلمين قد أغفلوا إصلاح ذات بينهم ، فباءوا فقط بإثم التفريط ولكنى أجد بعضهم مشعلا لجذوة الفتنة يجمع لها حطبها ، ويؤجج نارها . ويسره أن تقطع الأوصال وتمزق العلاقات .

حسب هؤلاء أن يذكروا قول رب العزة (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) اللهم إنا نسألك للمسلمين عامة فقها فى دينك واعتصاما بحبلك واستمساكا بهدى نبيك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم ؟

مكتبتنا العربية

باب الأسئلة والفتاوى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى : —

تحدث عدد من نظار القبائل السودانية فى مؤتمر صحفى عقد بالخرطوم حديثا نشرته جريدة الأهرام بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥١ مرفقا بهذا الطلب .

وأنى أرجو أن تتكرموا فتقرروا مشكورين حكم الدين الحنيف فى هؤلاء النظار الذين أعلنوا تعاونهم مع غير المسلمين .

توفيق أحمد البكرى
بالجامعة العربية

الجواب :

الحمد لله رب العالمين : والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وعلى ما ورد فى جريدة الأهرام مما أشير إليه فى السؤال . وتفيد بما يأتى :

قال الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، وقال تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » ، وقال تعالى « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

أوجب الله بهذه الآيات وغيرها من القرآن الكريم على المؤمنين أن يعتصموا بحبله المتين ، وأن يتحدوا فيما بينهم على حفظ دينهم وتركيز سلطانه وإقرار كلمته ، ونهاهم عن الاختلاف والتفرق وحذرهم عاقبة ذلك من الفشل ، وذهاب الريح وتلاشى السلطان .

ولما كانت موالاة بعض المؤمنين لأعداء الدين وتعاونهم معهم سبيلا للتفرق وخروجا على وحدة المسلمين وسببا للفتنة عنى القرآن فى غير آية بنهى المؤمنين عن اتخاذهم أولياء من الكافرين يلقون إليهم بالمودة ويعملون معهم على ما يمكنهم من تحقيق أغراضهم فى التسلط على المسلمين وإضعاف شوكتهم فى بلادهم ، وقرر أن هذا الصنيع خيانة لله وللرسول ، وخيانة للأمانات التى ناط الله رعايتها بالمؤمنين

مكتبتنا العربية

وأنه لا يمكن أن يوجد مع الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأن دعوى الإيمان ممن يخرج على أمته ويعاون من حاد الله ورسوله دعوى كاذبة لا قيمة لها عند الله ولا وزن لها عند جماعة المؤمنين .

هذا ما تدل عليه هذه الآيات الواضحة ، ولا ريب أن دعوة بعض المسلمين إلى التعاون مع غير المسلمين الذين يعادونهم ويحتلون بلادهم ظلما وعدونا واستنادا إلى ما لهم من قوة غاشمة خيانة ومحادة لله وللرسول ، وخيانة للأمانات التى أوجب الله رعايتها على المؤمنين ، وخروج على الوحدة الإسلامية وتمكين للعدو من التسلط على المسلمين وسلب حريتهم وزلزلة سلطانهم ، وقضاء على دينهم وقوميتهم ، وكل ذلك من مظاهر الكفر التى لا تصدّق معها دعوى الإيمان .

وقد صرح القرآن بأن أمثال هؤلاء الذين يخرجون على أمتهم لا ينجيهم من الوعيد الشديد ما يدّعونه من أنهم يتحامون بذلك شرا قد ينزل بهم ، أو يتوخون مصلحة تصل إليهم ، وقرر أن ذلك ليس إلا انتحالا لأعذار موهومة ، وركونا إلى شبهة باطلة يزينها ضعف الإيمان وابتغاء عرض الحياة الدنيا ويقول فى شأنهم - بعد النهى عن اتخاذ الأعداء أولياء وبعد تقرير أن من يتولاهم ملحق بهم ومعدود منهم - يقول « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ».

هذا هو حكم هؤلاء المسئول عنهم عند الله وفى نظر الدين : وترى اللجنة أن الدين يوجب على المسلمين أن يكافحوا هذا الصنف من الناس الذين منيت به الشعوب الاسلامية فزعزع سلطانها ، وأطمع الأعداء فيها ، فأخذوا ينتقصون أرضهم من أطرافها ويدخلون عليهم من كل باب حتى صارت بلاد المسلمين طعمة للآكلين وغرضا للمستعمرين .

ولو أن المسلمين تنبهوا إلى هذا الواجب وكافحوا هذا الوباء الاجتماعى الذى نبت فيما بينهم وطهروا بلادهم من جراثيمه لاحتفظوا بعزتهم وسلطانهم ولتمتعوا بحريتهم وسيادتهم ولكان لهم ذلك المجد الذى تقلص عنهم بموقف أمثال هؤلاء الخونة الآثمين « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » والسلام على من اتبع الهدى ؟

مكتبتنا العربية

كيف ندرس الادب (١)

للاستاذ الشيخ أحمد محمد صقر

خريج كلية اللغة العربية

للأزهر فى قديمه وحديثه طابع يمتاز به فى درسه بما يعطى من حرية المناقشة لطلابه . فللطالب أن يناقش الأستاذ فى كل ما يقول . وعلى الأستاذ أن يتقبل ملاحظات تلميذه بصدر رحب . ولكن لا أدرى : أمن طوابع الأزهر ألا يعالج طلابه مشاكل الآداب والعلوم بأقلامهم على صفحات المجلات العلمية أم أن لهم الحرية فى الكتابة والنشر دون تعرض لسخط أو انتقام . ؟

أعتقد أن للطالب الحق فى علاج المشاكل العلمية والأدبية كتابة ومحاضرة ومناقشة سواء أكان كل ذلك فى قاعة الدرس أم خارجها . وسواء أكان فى محيطه أم فى محيط آخر . لأنه مسئول عن كل ما يصدر عنه فلا حرج عليه إذا كتب معبرا عن رأى يخالج نفسه أو معالجا لمشكلة يراها تتصل به . ولكن يظهر لى أن الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان يرى غير ذلك فهو يقول فى كلمة نشرها على صفحات مجلة الأزهر ردا على مقالى السابق : « إنى أعتب عليك - ياولدى الأستاذ أحمد محمد صقر - عتبا رفيقا أبويا لأنك تخطيت أساتذتك مدرسى الأدب فى كليتك الكريمة . . . . مع أنى لم أكتب عن طريقة دراسة الأدب فى كلية اللغة العربية وحدها بل كنت أتحدث حديثا عاماً لأن الشكوى عامة من جميع طلاب الأدب فى مختلف معاهده . فليس فى ذلك تخطٍّ لأساتذتى ولا تجن على الحقيقة فدراسة الأدب فى حاجة قصوى إلى تنظيم بل فى حاجة إلى انقلاب شامل .

ولم يقف فضيلة الأستاذ عند هذا الحد بل حرض مجلة الأزهر على إغلاق بابها فى وجه مقالاتى واتهمها بمجاملتى حين كتبت فى أول مقالى « هذا رأى

---

(١) بهذا العنوان « كيف ندرس الأدب » نشرت مجلة الأزهر مقالين أحدهما لى فى عدد ربيع الأول سنة ١٣٧٠هـ والثانى للاستاذ عبد الجواد رمضان فى عدد جمادى الأول سنة ١٣٧٠ . فليرجع إليهما

مكتبتنا العربية

فى دراسة الأدب للكاتب ، وحين ختمته بقولها « نشرنا هذا المقال لحضرة كاتبه الفاضل لما رأينا فيه من وجوه تقدر قدرها » .

ولكن المجلة لم تستجب له عاملة بحثها فى حرية النشر مفسحة صدرها لأبناء الأزهر الذين يعملون على رفعته إذ هى لسانهم وميدان تباريهم . فشكر الله لها وزادها رفعة . أما أن فضيلته « من أقدم مدرسى الأدب فى كلية اللغة العربية » وأنا « أحد طلابها » كما يقول فليس فى ذلك ما يحول بينى وبين خدمة العلم الذى وقفت شبابى عليه وليس أمام الحق إلا باحث عنه سواء أكان أحد الطلاب أم أقدم المدرسين .

ويبرر فضيلته مسلكه بقوله : « إنه يحتم على الكلام واجب العمل الذى آكل به خبزى » . وأنا أربأ بفضيلته أن يكون فى هذا الوضع لأن أكل الخبز لا يحرك قلم كاتب حر يتوخى الحقيقة ويطلب الإنصاف ، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، وليس أكل الخبز أمل العلماء فى الحياة . بل إن نصرة الحق وكشف اللثام عن الصواب أدعى للكتابة وأقوى تحريكا عليها . وأؤكد لفضيلة الأستاذ أن الذى دعانى للتعقيب على ما كتب حب للإصلاح لا طمع فى أكل خبز . لأن الخبز لا يؤكد مؤتدما بدماء الحقيقة .

والذى يعنى على فتح هذا الباب ما أراه فى طرق دراسة الأدب من نقص ظاهر ، وما أحسه عند طلاب الأدب من سأم وكلال على أن الأدب من الفنون الجميلة التى تسترعى الانتباه ، وتدعو إلى الاستزادة . وكنت أحسب أن الأستاذ عبد الجواد قصد بمقاله وجه الحق ، ولكنى رأيته لا يرد على الفكرة بالفكرة . بل يعمد إلى نوع من التهكم والسخرية ملأبه ثلث مقاله ، ولست أبيح لنفسى أن أساجل فضيلته فى هذا النوع إجلالا له واحتراماً لأستاذيته . وملأ الثلث الثانى بإرشادات ونصائح ضمنها نتفاً أدبية أعلن بها عن مقدرته التى لا تنكر . وسأعود إليها فى مقال آخر - إن شاء الله - أما الثلث الثالث فقد عاب فيه مقالى من الناحية اللفظية وهو الذى يعنينى الآن .

يقول الأستاذ : « إن أول شرط فى هجائية النقد الأدبى الذى حبرت مقالك فيه سلامة الأسلوب وقوته » . . . « ولا أكتمك أنه قد جرح شعورى (المعهدى)

مكتبتنا العربية

ما يشيع فى أسلوبك من تخاذل وتفكك واضطراب » وهنا أسأل فضيلته أن يبين معنى « الأسلوب » ومعنى « التخاذل . . والتفكك . . والاضطراب » . وإذا كان فضيلته يرى أن هذه مهمة معلم الإنشاء لا مدرس الأدب ، فأنا أرى أن أول واجبات مدرس الأدب أن يحدد معانى الاصطلاحات التى تدور على ألسنة النقاد فإنك تجد كثيراً من الكتب النقدية حينما تمدح بيت الشعر تقول : « وهذا البيت كثير الماء حسن الرونق » . وحينما تعيبه تقول : « وهذا البيت غث بارد مستكره » عبارات معينة لا تتغير ولا تدل بوضوح على المقصود .

وإذا جاز لأصحاب هذه الكتب أن يبهموا فى عباراتهم فإنه لايجوز لنا فى عصر الوضوح أن نلجأ إلى الإبهام . فماذا يقصد الأستاذ من « الأسلوب » - وهو أستاذ الأدب ، ورب القلم ، وصاحب المذكرات التى نرجوا أن تتاح لنا فرصة نقدها فيما بعد - ؟ إن تمثيله يدل على مراده فقد مثل لتخاذل الأسلوب وتفككه واضطرابه بألفاظ مفردة صحيحة لغة وذوقاً ، ولكنه يعيب علىّ اختيارى لها وتركى ألفاظاً أحسن منها . فهل معنى ذلك أن فضيلته يسمى اللفظ المفرد أسلوباً ، وعلى هذا يكون هذا اللفظ متخاذلا مفككا مضطرباً ؟ إن أراد الأستاذ ذلك فإنه عجب . . وأنا لا أعلم أن اللفظ يسمى أسلوباً ، إذ أن الأسلوب هو نظم الكلام ونسق التركيبات ، ولا يسمى اللفظ المفرد متخاذلا . . ولا مفككا مضطرباً . ولم يمثل فضيلته للأسلوب بغير تلك الألفاظ . قال فضيلته - أمد الله فى عمره - ليبرهن على فساد الأسلوب ، وتخاذله وتفككه واضطرابه : « فالناقد الأدب - يا بنى - لا يقول - مَساغاً - كما قلت . وإنما يتهدى بالأسلوب القرآنى : « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » .

وأقول لفضيلته : إن الذوق الرهيف يحتم استعمال كلمته « مساغا » اقتداء بالقرآن الكريم حيث يقول : « يتجرعه ولا يكاد يسيغه » فإن « يسيغ » مضارع « أساغ » الرباعى والمفعول منه « مساغ » وفى الإساغة معنى العسر والمشقة وهو مقصودى حين قلت : ولم يعد مساغا ذلك الشيوع فى الفكرة . . أما سائغ فهو وصف من ساغ الشىء إذا ارتاحت إليه النفس وليس ذلك ما أقصده . وإذا كان الذوق يهدى إلى ترجيح استعمال « مساغا » واللغة لا تمنع مع وجود اقتداء بالقرآن فمن أين يأتى العيب وفساد « الأسلوب » الذى هو اللفظ كما يرى الأستاذ ؟

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء الثالث ـــ المجلد الثالث والعشرون

الموضوع	بقلم	صفحة
التفسير ـ سورة البقرة ...	فضيلة الأستاذ الشيخ حامد محيسن ...	١٨٥
الزواج نظر القانون الإسلامى	» » الدكتور محمد عبد الله دراز	١٨٨
بيان للهيئة العربية العليا لفلسطين	... ...	١٩٣
النبوة الحربى ...	فضيلة الاستاذ الشيخ محمود النواوى ...	١٩٦
السياسة الخارجية للإسلام	حضرة الدكتور محمود فياض	٢٠١
القصة	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم أبو الخشب	٢٠٧
مدرسة فيثاغورس	الاستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ...	٢١٠
الأدب العربى فى عهد الأمويين ...	فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد المسلوت ...	٢١٤
اللغويات	» » » محمد على النجار ...	٢٢٠
الاستعداد خلق اجتماعى ...	» » » محمد ابراهيم الحفناوى	٢٢٥
فى نزول الوحى	» » » محمد محمد خليفة ...	٢٢٨
ذرات القوة	» » » كامل محمد عجلان ...	٢٣١
التسابق إلى الجهاد	» » » السيد شريف ...	٢٣٥
سول النور الأعظم	» » » محمد عبد المنعم خفاجى	٢٣٩
من طرائف القرآن الكريم ...	» » » عبد الغنى الراجحى	٢٤٤
العبرة فى شباب محمد	» » » ابراهيم على شعوط	٢٤٩
شيلر	» » » حسن جاد	٢٥٦
» »	» » » أبو الوفا المراغى	٢٥٩
» »	» » » عبد الجواد رمضان	٢٦٣
رثاء شاعر العروبة ...	» » » رياض هلال	٢٦٤
» »	» » » أحمد شفيع	٢٦٥
» »	» » » السباعى الشناوى	٢٦٦
الأربعون أساتذة شعراء العصر	» » » محمد كامل الفقى ...	٢٦٧
هدى الإسلام	» » » المنشاوى عبود الخولى	٢٧١
الفتاوى	... ...	٢٧٦
كيف ندرس الأدب	فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد صقر	٢٧٨

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى